

الدَّعْوَةُ

عناصر الموضوع

٣٦٦	مفهوم الدعوة
٣٦٨	الدعوة في الاستعمال القرآني
٣٦٩	الأنفاذ ذات الصلة بالدعوة
٣٧٠	إسناد الدعوة إلى الله تعالى
٣٧٦	مقاصد الدعوة
٣٨١	قواعد الدعوة
٣٨٦	المدعو إليه
٣٩١	أساليب الدعوة
٣٩٧	موقف المدعوين من الدعوة
٤٠١	نماذج من الدعاة
٤٢١	ثمرات الدعوة

مفهوم الدعوة

يعتبر موضوع الدعوة والنظر لحال المدعوين، من الأمور المهمة التي ورد الحديث عنها في القرآن الكريم، وسوف أتحدث عن هذا الموضوع، فيما يأتي:

أولاً: المعنى اللغوي:

الدعوة: من دعا يدعو دعوةً ودعاءً^(١)، والدعاء كالنداء، إلا أن النداء قد يقال بـ (يا)، أو (أيا)، ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد أن يقال إلا إذا كان معه الاسم، نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، ودعوته: إذا سألته، وإذا استغثته^(٢)، يقال: دعوة فلان في بني فلان، ولبني فلان الدعوة على قومهم إذا كان يبدأ بهم، والدعوة: الوليمة^(٣)، فهي نداء إلى شيء.

وعليه فإن كلمة (دعوة) تفيد من حيث اللغة المحاولات القولية والفعلية لإمالة الناس إلى تحقيق هدف أو عمل، ويمكننا أن نطلق لفظ «الدعوة» على ما يراد إبلاغه ونشره من هدى أو ضلال^(٤).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

تعرف الدعوة بأنها نداء إلى شيء معين، وقد يكون هذا النداء عاماً أو خاصاً، مباشراً أو غير مباشر، ولم يرد تعريف الدعوة كثيراً في كتب اللغة؛ لأعتمد عليه في التعريف الاصطلاحي. وجاء أن (الدعوة) بالفتح في الطعام اسم من (دعوت) الناس، إذا طلبتهم ليأكلوا عندك، يقال: نحن في (دعوة) فلان و(مدعاته) و(دعائه) بمعنى واحد، وهذا كلام أكثر العرب^(٥)، وأصرح الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبْظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَقْسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وأصل الدعوة بفتح الدال، والمراد بها هنا: دعوة الإسلام^(٦)، وهي في القرآن الكريم

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٧٧/٣.

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣١٥.

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٣٤٨/١.

(٤) انظر: الدعوة والداعية، محمد البارودي ص ٢٠.

(٥) انظر: المصباح المنير، الفيومي ١٩٥/١.

(٦) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ٧/١.

الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
والدعوة إلى فعل الخير يندرج تحتها نوعان: أحدهما: الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف، والثاني: الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر^(١).
فهي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله وذلك بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا^(٢).
والأصل في بيان ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا رضي الله عنه على اليمن؛ قال: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله.. الحديث)^(٣).
فالدعوة في اللغة هي: مطلق الدعاء والنداء إلى شيء، وبالمعنى الاصطلاحي يتبين أن هذا النداء للدعوة هو: دعوة إلى الإيمان بالله تعالى، واتباع كتابه، والسير على منهج رسوله صلى الله عليه وسلم، والدّاعون إليه من أشرف الناس عند الله.

(١) انظر: لباب التأويل، المخازن ١/ ٣٠٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/ ١٥٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ١١٩/ ٢، رقم ١٧٥٤.

الدعوة في الاستعمال القرآني

ورد الجذر (دع و) في القرآن الكريم (٢٠٧) مرات، يخص موضوع البحث منها (٢٠٥) مرات^(١).

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٣	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِّمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [فصلت: ٣٣]
الفعل المضارع	١٠٦	﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]
فعل الأمر (دعائي)	٣٢	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]
اسم فاعل	٧	﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ [طه: ١٠٨]
اسم	٢٠	﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]
مصدر	١٠	﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤]

وجاءت الدعوة في القرآن الكريم بمعناها في اللغة وهي مصدر دعا، أي: نادى وطلب، ودعا إلى الأمر: حثَّ عليه^(٢).

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٥٧-٢٦٠.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار ١/ ٧٤٧.

الألفاظ ذات الصلة بالدعوة

١ الهداية:

الهداية لغةً:

أصل الهداية في اللغة: التقدم للإرشاد، فالهادي هو الذي يتقدم لإرشاد من خلفه^(١).
والهدى: الرشاد والدلالة، ضد الضلالة^(٢).

الهداية اصطلاحًا:

الهداية: هي الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب^(٣).

الصلة بين الهداية والدعوة:

الدعوة هي طريق للهداية، فالهداية غاية، والدعوة وسيلة.

٢ الموعظة:

الموعظة لغةً:

الوعظ: التخويف، والاسم: العظة، وهو التذكير بالخير وما يرق له قلبه^(٤).
الموعظة اصطلاحًا:

الموعظة: وهي ما يوعظ به من قول أو فعل^(٥).

الصلة بين الموعظة والدعوة:

الموعظة إحدى وسائل الدعوة، وأكثرها استعمالاً، تجعل المدعو سريع الاستجابة.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٤٢/٦.

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري ١٠٢/٦.

(٣) التعريفات، الجرجاني ص ٣١٩.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس ١٢٦/٦.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٠٤٣/٢.

إسناد الدعوة إلى الله تعالى

تقدم معنا أن الدعوة لها ألفاظ ودلالات ومعان عدة، وأهم هذه المعاني هي: أن الدعوة دعوة إلى عبودية الله وحده، واتباع رسوله وما أرسله به.

ومن عظيم رحمة الله تعالى أنه يدعو عباده بنفسه، وهذا إن دلّ فإنما يدل على عظيم كرمه، وجزيل إحسانه، وبيان ذلك كما يأتي:

أولاً: دعوة الله تعالى لعباده إلى المغفرة:

جاء في آيات الدعوة الواردة في القرآن الكريم أن الله تعالى يدعو عباده بنفسه، ويمكن أن نجعل تلك الدعوة في قسمين: الآيات الصريحة في دعوة الله تعالى لعباده إلى مغفرته:

وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ لِلنَّاسِ لَهْجَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة: ٢٢١].

يعني تعالى ذكره: هؤلاء الذين حرّمت عليكم -أيها المؤمنون- مناهجتهم من رجال أهل الشرك ونسائهم، يدعونكم إلى

النار يعني: يدعونكم إلى العمل بما يدخلكم النار، وذلك هو العمل الذي هم به عاملون من الكفر بالله ورسوله؛ فلا تقبلوا منهم ما يقولون، ولا تستنصحوهم، ولا تنكحوهم ولا تنكحوا إليهم، فإنهم لا يألونكم خبالاً ولكن اقبلوا من الله ما أمركم به فاعملوا به، وانتهوا عما نهاكم عنه^(١)؛ فذلك ما يوجب لكم المغفرة، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ أي: يدعو عباده لتحصيل الجنة والمغفرة، التي من آثارها دفع العقوبات وذلك بالدعوة إلى أسبابها من الأعمال الصالحة، والتوبة النصوح، والعلم النافع، والعمل الصالح^(٢)، ويدعوكم إلى مخالطة المؤمنين لأن ذلك أوصل لكم إلى الجنة^(٣).

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِيعُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٠].

أي: يدعوكم إلى التوحيد ليغفر لكم من ذنوبكم^(٤)، والدعوة أصلاً دعوة إلى الإيمان، المؤدي إلى المغفرة، ولكن السياق يجعل الدعوة مباشرة للمغفرة، لتتجلى نعمة

(١) جامع البيان، الطبري ٤/ ٣٧١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٣٤.

(٣) معاني القرآن وإعراجه، الزجاج ١/ ٢٩٦.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٣/ ١٩٩.

أي: سارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهي الطاعة، والآية عامة^(٣)، فكل ما من شأنه الحصول على مغفرة الله تجب المسارعة إليه.

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ
وَلَا تَكُونُ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ
يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتْبِعِكُمْ عَمَّا
بَيْنَ يَدَيْكُمْ لِئَلَّا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

فأنتم مدبرون وهو ثابت في مكانه في
نحر العدو في نحر يسير وثوقاً بوعد الله
ومراقبة له ^(٤)؛ لأن الأمر الحقيقي من دعوة
الرسول صلى الله عليه وسلم وجهاده هو
التعلق بمغفرة الله، وذلك بالجهاد الذي
يعفو الله به الذنوب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِمَا بَرَأَكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ مَا يُرِيدُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَأَرِؤُفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد: ٨-٩].

أي: وأي شيء يمنعكم من الإيمان
والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك،
ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما
جاءكم به (٥).

الله ومته، وعندئذ يبدو عجيباً أن يدعى قوم إلى المغفرة فيكون هذا تلقيهم للدعوة! ﴿يَدْعُوَكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، ﴿وَيُخْرِكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فهو سبحانه مع الدعوة للمغفرة لا يعجلكم بالإيمان فور الدعوة، ولا يأخذكم بالعذاب فور التكذيب، إنما يمنّ عليكم منّة أخرى فيؤخركم إلى أجل مسمى^(١)، فليس العجب ممن تكلف لسيده المشاق وتحمل ما لا يطاق، وآلا يهرب من خدمة أو يجنح إلى راحة؛ إنما العجب من سيد عزيز كريم يدعو عبده ليغفر له وقد أخطأ، ويعامله بالإحسان وقد جفا^(٢).

ففي الآيات دلالة صريحة أن الله الكريم
يدعو عباده بنفسه، وأهم قضية دعا إليها
سبحانه وتعالى:

❁ دعوة عباده إلى جنته التي أعدها لمن
غفرت له ذنوبه.

❁ دعوة عباده إلى مغفرته التي لا يملكها إلا هو.

ومن الآيات التي تتضمن دعوة الله تعالى لعباده إلى مغفرته: قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٠٣/٤.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي ٤٣١/٢.

(۵) تفسیر القرآن العظیم، ابن کثیر ۸/ ۴۵.

(۱) فی ضلال القرآن، سید قطب ۴ / ۲۰۹۰.

(٢) لطائف الإشارات، القشيري ٢ / ٢٤٢.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

فهذه الآيات تتضمن الدعوة من الله تعالى لعباده أن يحذروا من غوايات الشيطان التي تبعدهم عن نيل مغفرة الله، وأن يسارعوا إلى مرضات الله تعالى ومغفرته، مع التخلق بأخلاق المستحقين لتلك المغفرة.

ثانيًا: دعوة الله تعالى لعباده إلى الجنة:

جاء في القرآن الكريم دعوة الله تعالى لعبادة إلى جنته مباشرة، ويمكن أن نجعل هذا كالذي قبله وذلك في قسمين:

١. الآيات الصريحة في دعوة الله تعالى لعباده إلى جنته.

وهذا كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَا أَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنَ مُشْرِكِكُمْ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنَ

مُشْرِكِكُمْ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

فهو يدعوكم إلى العمل بما يدخلكم الجنة، ويوجب لكم النجاة إن عملتم به من النار^(١)، وهو يدعو عباده لتحقيق الجنة^(٢)، وطريق المؤمنين والمؤمنات هو طريق الله، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه، وما أبعد دعوة المشركين إذن من دعوة الله، والله يحذر من هذه الدعوة المردية ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، فمن لم يتذكر، واستجاب لتلك الدعوة فهو المعلوم^(٣).

فمن عمل بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد استجاب لدعوة الله له إلى الجنة، وهذا يتجلى في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ الْخَاشِعِينَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)، قالوا: يا رسول الله، ومن أبى؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)^(٤).

- (١) جامع البيان، الطبري ٤/ ٣٧١.
- (٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٢٣٤.
- (٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٢٤٠.
- (٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب

وتمامه وبقائه، وحسنه من كل وجه^(٢)، فيا لبعـد الشقة بين دار يمكن أن تـطمس في لحظة، وقد أخذت زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فإذا هي حصيد كأن لم تغن بالأمس، ودار السلام التي يدعو إليها الله، ويهدي من يشاء إلى الصراط المؤدي لها، حينما تفتـح بصيرته، ويتطلع إلى دار السلام^(٣).

ولذا حذر الله تعالى من الدعوة المضادة المبينة لهذه الدعوة فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

٢. الآيات التي تتضمن دعوة الله عباده إلى جنته^(٤).

وهذه الدعوة الضمنية تحمل في طياتها معنى التبشير والوعد، فذكر الله تعالى الجنة مشوقاً عباده إليها، وحثاً لهم على العمل من أجل الدخول فيها، فورد كثير من الآيات التي تذكر الجنة بـسياق مختلف، حيث جاءت مفردة منكـرة بلفظ (جنة) كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَاصِيراً﴾ [١٥] لَمْ يَكُنْ فِيهَا مِمَّا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً﴾ [الفرقان: ١٥-١٦].

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٦٢.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/ ١٧٧٥.

(٤) انظر: صفة الجنة في القرآن الكريم، عبدالحليم السلفي ص ٣١.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

يقول تعالى ذكره لعباده: أيها الناس، لا تطلبوا الدنيا وزينتها، فإن مصيرها إلى فناء وزوال، كما مصير النبات الذي ضربه الله لها مثلاً إلى هلاك وبوار، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية، ولها فاعملوا، وما عند الله فالتمسوا بطاعته، فإن الله يدعوكم إلى داره، وهي جناته التي أعدّها لأولياؤه، تسلموا من الهموم والأحزان فيها، وتأمّنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدّها لمن دخلها، وهو يهدي من يشاء من خلقه فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام الذي جعله جل ثناؤه سبباً للوصول إلى رضاه، وطريقاً لمن ركبـه وسلك فيه إلى جـنانه وكرامته^(١).

فعمّ تعالى عباده بالدعوة إلى دار السلام، والحث على ذلك، والترغيب، وخص بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاه، فهذا فضله وإحسانه، والله يختص برحمته من يشاء، وذلك عدله وحكمته، وليس لأحد عليه حجة بعد البيان والرسـل، وسمى الله الجنة دار السلام؛ لسلامتها من جميع الآفات والنقائص، وذلك لكـمال نعيمها

الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله،

٩٣/٩، رقم ٧٢٨٠.

(١) جامع البيان، الطبري ٥٩/١٥.

أي: كانت تلك الجنة للمتقين جزاءً على أعمالهم، ومصيرًا يصيرون إليه، ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ أي: ما يشاءونه من النعيم، وضروب الملاذ^(١).

وجاءت مفردة معرفةً مجرورةً كلفظ «بالجنة» كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا سَتُغْنِي عَنْكَ الْجَنَّةُ وَالْأَخْرَاءُ وَلَا تُخْزَوْنَ وَابْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

يقول: وسرّوا بأن لكم في الآخرة الجنة التي كنتم توعدها في الدنيا على إيمانكم بالله، واستقامتكم على طاعته^(٢).

وجاءت مرفوعةً مثناةً كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وهذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره، يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

ولم يطغ ولا أثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان، كما ذكر البخاري عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال: (جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)^(٣) (٤).

وجاءت مجموعة معرفةً في موضع واحد فقط وهو قوله تعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ فِيهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢].

أي: في الروضات المضافة إلى الجنات، والمضاف يكون بحسب المضاف إليه، فلا تسأل عن بهجة تلك الرياض المونقة، وما فيها من الأنهار المتدفقة، والفياض المعشبة، والمناظر الحسنة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة، والأصوات الشجية المطربة، والاجتماع بكل حبيب، والأخذ من المعاشرة والمنادمة بأكمل نصيب، رياض لا تزداد على طول المدى إلا حسنًا وبهاءً، ولا يزداد أهلها إلا اشتياقًا إلى لذاتها وودادًا، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ فيها، أي: في الجنات، فمهما أرادوا فهو حاصل، ومهما طلبوا حصل، مما لا عين رأت، ولا

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب حور مقصورات، ١٥٤/٦، رقم ٤٨٧٩.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٤٦٢.

(١) فتح القدير، الشوكاني ٤/٧٦.

(٢) جامع البيان، الطبري ٢١/٤٧٦.

وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ
عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧٢] وغيرها كثير.

وكل هذه الآيات تتضمن الدعوة إلى
الفوز بجنة الله تعالى مهما اختلفت صيغها،
وتنوع سياقاتها، فهي تدعو إلى تحقيق أعمال
وأخلاق تجعل أصحابها فائزين بجنة الله
تعالى التي أعدها لعباده الصالحين.

أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر،
﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ وهل فوز أكبر
من الفوز برضا الله تعالى، والتنعم بقربه في
دار كرامته؟^(١)

وجاءت مجموعة منكرة في مواضع
منها قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ
رُزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ
مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

وهي ألوان من النعيم يستوقف النظر
منها- إلى جانب الأزواج المطهرة- تلك
الثمار المتشابهة، التي يخيل إليهم أنهم
رزقوها من قبل- أما ثمار الدنيا التي تشبهها
بالاسم أو الشكل، وأما ثمار الجنة التي
رزقوها من قبل- فربما كان في هذا التشابه
الظاهري والتنوع الداخلي مزية المفاجأة في
كل مرة^(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِحَبْرِ
مِنْ دَلِيلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعَبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٥٧.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٤٩.

مقاصد الدعوة

للدعوة الإسلامية مقاصد مهمة ذكرت في ثنايا آيات الدعوة التي وردت في القرآن الكريم، ومن تلك المقاصد ما يأتي:

أولاً: تحقيق التوحيد:

فمن المقاصد العظيمة التي تبدو في ثنايا الآيات التي تتحدث عن الدعوة تحقيق توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.

والتوحيد هو أصل دعوة الرسل وإليه دعوا أقوامهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] (١).

وسأذكر بعض الآيات الواردة في الدعوة إلى تحقيق التوحيد حسب ترتيب السور.

فمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [١٣] إن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَأَى إِذَا يَدْعُونَ إِلَّا مَتَظِنًّا مَقْرِبًا [النساء: ١١٦] [١١٧].

ويدعون بمعنى: يعبدون؛ لأن من عبد شيئاً فإنه يدعوه عند احتياجه إليه (٢).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى

اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُنذِرُونَهُمْ قَالُوا إِنَّا مَا كُنْهُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ [الأعراف: ٣٧].

يخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفرعهم عند الموت، وقبض أرواحهم إلى النار يقولون لهم: أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله؟! ادعوهم يخلصوكم مما أنتم فيه، ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي: ذهبوا عنا، فلا نرجوا نفعهم ولا خيرهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: أقرؤا واعترفوا على أنفسهم ﴿أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ كَافِرُونَ﴾ (٣).

وقد وردت آيات كثيرة تدعو لتحقيق هذا المقصد العظيم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَثِيرٍ إِلَى الْمَاءِ يَلْتَمِعُ فَاهُ وَمَا هُوَ بِلَاقِظَةٍ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ

(١) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد ملكاوي ١/ ٦١.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١١/ ٢٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٣٦٩.

تعالى وما جاء عنه.

ويلاحظ أن قاعدة التوحيد الأولى هي أفراد الله بالعبادة، وقد جاءت الدعوة إلى ذلك عن جميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وأنهم قاموا بدعوة أقوامهم إلى ذلك وتحذيرهم من الشرك بالله^(١).

ثانيًا: الهداية والإصلاح:

ومن مقاصد الدعوة في القرآن الكريم: الهداية والإصلاح، وهما أمران متلازمان. ومن الآيات التي تذكر معنا في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة^(٢)، بمعنى هدي للإجابة؛ ليصلح حاله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

يقول تعالى: ولتكن منكم أمة متتبعة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأولئك هم

إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابِ ﴿٣٦﴾ [الرعد: ٣٦].
وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠] وغيرها.

وفي ثنايا هذه الآيات ألحظ الدعوة إلى تحقيق التوحيد فيما يأتي:

- ✽ أن الدعوة إلى التوحيد أصل أصيل دعا إليه الله تعالى بنفسه، ولأجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب.
- ✽ النهي الصريح عن دعاء غير الله تعالى، أو الدعوة إلى عبودية غيره.
- ✽ تصريح الداعي إلى الله أن دعوته إلى عبودية الله دون سواه واتباع رسله.
- ✽ الدعوة الصريحة للتحاكم إلى الله

(١) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن، الدليمي ١/٦٤.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي ٢/٣٧.

المفلحون^(١)، وهذا غاية في بيان هداية القائمين بالدعوة ودعوة غيرهم للاهتداء بها.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا فَتَرْتُمْ ۝٤١﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١].

هذه الآية الكريمة عاب الله فيها الكفار بسخافة العقول، وأنهم إذا نزلت بهم شدة من العظائم الشداد أخلصوا في ذلك الوقت الدعاء إلى الله، وتركوا دعاء غير الله؛ لعلمهم بأنه لا ينفع ولا يضر، فإذا نجاهم الله من تلك الكربة، وأمنوا، رجعوا إلى ما كانوا عليه من الشرك بالله، وهذه سخافة عقول؛ لأنهم في وقت الشدائد يخلصون إلى الله^(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلَّ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِّلنَّبِيِّ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٧١ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةَ ۝٧٢﴾ [الأنعام: ٧١-٧٢].

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾ أي: للإسلام والتوحيد، وأنقذنا من عبادة الأصنام، فصيّر كالمستمر على الضلال، واستمالته عن الطريق الواضح مردة الجن، في الأرض القفر المهلكة، تائها ضالاً عن الجادة، لا يدري كيف يصنع، ولهذا المستهوي رفقة يدعونه إلى الطريق المستقيم^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٠٨﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وهؤلاء يدعون من دون الله شركاء، مع علمهم وتسليمهم بأن الله هو الخالق الرازق ولكن إذا سب المسلمون آلهتهم؛ اندفعوا عما يعتقدونه من ألوهية الله، دفاعاً عما زين لهم من عبادتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وتقاليدهم؛ فليدعهم المؤمنون لما هم فيه^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝١٨٨﴾ [الأعراف: ١٩٨].

إذ ليس لهم سمع، وإن صورت لهم الآذان، كما أنه لا بصر لهم، وإن صورت لهم الأعين وهذا من تمام التعليل؛ لعدم مبالاته بهم، فلا تكرر^(٥).

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٣٩٦/٤.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب ١١٦٩/٢.

(٥) محاسن التأويل، القاسمي ٢٤١/٥.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨٧/٢.

(٢) العذب النمير، الشنقيطي ٢٣٤/١.

الدعوة اشتملت اشتمالاً واضحاً جلياً في الدعوة إلى الهداية والإصلاح الذي هو ناتج عن الهداية وألحظ ذلك فيما يأتي:

❖ أن آيات الدعوة اشتملت على الدعوة الصريحة إلى الهداية.

❖ أهل الهداية الحققة هم الموحدون والداعون إلى توحيد الله تعالى.

❖ الدعوة إلى الهداية دعوة إلى امتثال أوامر الله تعالى، وترك زواجره ونواهيه، وهي ما يكون به الإصلاح.

❖ وجوب صحبة أهل الهداية؛ لأن المعرضون عن الدعوة إلى الهداية هم أظلم الناس.

ثالثاً: إقامة الحجة:

ومن المقاصد التي تلحظ في آيات الدعوة إقامة الحجة على المعرضين عن الهداية؛ فأرسل الله ﷻ ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وذلك كما جاءت به الآيات والتي منها ما يأتي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١٤) ﴿أَلَمْ يَأْتِ الْيَهُودَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ يَدْعُوا بِهِمْ فَقَدْ أَبَدُوا لَكُمْ آيَاتِهِمْ فَاسْتَفْتُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٣٨) [محمد: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْوَشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَلَدْ فِيهِ مُهْمًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

وقوله تعالى: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءُ تَدْعُونَ لِئُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٣٨) [محمد: ٣٨].

ففي هذه الآيات وغيرها نلاحظ أن آيات

كِيدُون فَلَا تُنْظِرُون ﴿١٩٥﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥].

فأخبرهم سبحانه بأن هؤلاء الذين جعلتموهم آلهة هم عباد لله كما أنتم عباد له مع أنكم أكمل منهم؛ لأنكم أحياء تنطقون وتمشون وتسمعون وتبصرون وفي هذا تقرير لهم بالغ، وتوبيخ لهم عظيم^(١).

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَشِيعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦].

فأخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض، وأن المشركين يعبدون الأصنام وهي لا تملك شيئاً لا ضرراً ولا نفعاً، ولا دليل لهم على عبادتها، بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخرفهم وكذبهم وإفكهم^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُو إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَلَغَ الْبِرَّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِسْنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

فالله تعالى بنفسه يقيم عليهم الحجة. وقوله تعالى: ﴿فَأَنبِأَهُمْ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَتْبَعِ الْهَدَىٰ﴾ [طه: ٤٧].

ففي هذه الدعوة إقامة الحجة على فرعون.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاذْكُرُوا لِلَّهِ الْيَوْمَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ١٧٣].

وهذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، وضعف الجميع^(٣)، ف﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ واحداً في صغره وقلته؛ لأنها لا تقدر عليه^(٤)، وإن يسلب الآلهة والأوثان الذباب شيئاً؛ لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [١٣] إن تدعوهم لا يسمعون دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْشُتِكُ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

- (٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٤٦.
(٤) معالم التنزيل، البغوي ٤٠٠/٥.
(٥) جامع البيان، الطبري ٦٨٥/١٨.

- (١) فتح القدير، الشوكاني ٣١٦/٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٤٥/٤.

قواعد الدعوة

بالبحث فيما معنا من آيات الدعوة، ومعرفة كلام المفسرين حولها، نلاحظ أن هناك قواعد مهمة للدعوة، ذكرت في ثنایا الآيات، والتي منها ما يأتي:

أولاً: الإخلاص:

ذكر ابن القيم كلاماً مهماً في منزلة الإخلاص، كما ذكر تعاريف منها: أن الإخلاص: أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله، ولا مجازياً سواه^(١).

وإخلاص الدعوة لله تعالى أمر واجب؛ ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يغفل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، والاعتصام بالجماعة)^(٢).

ومن الآيات الواردة في الأمر بالإخلاص لمن سلك سبيل الدعوة، قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

أي: قاصدين بذلك وجهه وحده لا شريك له، والدعاء يشمل دعاء المسألة،

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ بَعْدَ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَقُولُ يَكْتُوبُ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرُوا مِنْ عَلِيمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٤] وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٤-٥]. وغيرها كثير.

وبالنظر في ما مر معنا من الآيات الحظ ما يأتي:

❊ أن آيات الدعوة اشتملت على إقامة الحجة البالغة في الدعوة إلى عبودية الله تعالى.

❊ دعت الآيات الكريمة إلى البراءة من ما يعبد من دون الله، وبينت عجزهم وضعفهم.

❊ الدعاة إلى توحيد الله من الأنبياء وغيرهم أقاموا الحجة على أقوامهم في عبادتهم غير الله.

❊ إنفراد الله تعالى بالخلق والتدبير دعوة للمشركين لأن يعبدوه وحده، إذ قد قامت الحجة عليهم؛ لأنهم علموا ذلك وأقروا به.

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٩٢/٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٦٠/٢١، رقم ١٣٣٥٠، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١١٤٥/٢، رقم ٦٧٦٦.

ودعاء العبادة، أي: لا تراءوا ولا تقصدوا من الأغراض في دعائكم سوى عبودية الله ورضاه^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

أي: إذا كان الأمر كما ذكر من ذلك؛ فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التي أمركم بها ولو كره الكافرون ذلك، فلا تلتفتوا إلى كراحتهم، ودعوهم يموتوا بغيظهم ويهلكوا بحسرتهم^(٢).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

يقول: هو الحي الذي لا يموت، الدائم الحياة، وكل شيء سواه فمتقطع الحياة غير دائمها، فلا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهية له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين، مخلصين له الطاعة، مفردين له الألوهية، لا تشركوا في عبادته شيئاً سواه، من وثن وصنم، ولا تجعلوا له ندّاً ولا عدلاً^(٣).

فتبين مما سبق أن الداعي لا بد أن يكون مخلصاً مهماً كان موقعه، ومهما كانت منزلته في الدعوة إلى سبيل الله رب العالمين.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٨٦.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٤/ ٥٥٦.

(٣) جامع البيان، الطبري ٢١/ ٤١٠.

ثانياً: العلم:

والعلم مفتاح كل شيء، ولا بد أن يكون الداعية عالماً بشرع الله ليدعوا إلى الله على بصيرة^(٤).

ومن الآيات الواردة معنا في أهمية العلم في مجال الدعوة قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أي: على علم ودليل واضح وبرهان قاطع لا يترك في الحق لبساً^(٥).

ويقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين: الإنس والجن، أمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أي: طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي^(٦).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦].

(٤) انظر: منهج ابن القيم في الدعوة، أحمد الخلف ١/ ٢٤٦.

(٥) العذب النسيم، الشنقيطي ٢/ ٦٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣٦٢.

وقال أيضًا: (من يحرم الرفق، يحرم الخير)^(٧).

ومن الآيات الواردة في بيان ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ مِنْ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محققاً وغرضه صحيحاً ولما حث سبحانه على الدعوة بالطرق المذكورة بين أن الرشد والهداية ليس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ذلك إليه تعالى، وإنما شرع الدعوة وأمر بها قطعاً للمعذرة، وتتميماً للحجة، وإزاحةً للشبهة، وليس على الداعية غير ذلك، ثم لما كانت الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع إلى الحق فإن أبوا قوتلوا، أمر الداعي بأن يعدل في العقوبة^(٨).

وفي قوله تعالى: ﴿يَقُومُوا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [٣١] وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [٣٢] [الأحقاف: ٣١-٣٢].

قوله: ﴿اجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ أمر بإجابته في (٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، ٤/٢٠٠٣، رقم ٢٥٩٣. (٨) فتح القدير، الشوكاني ٣/٣٤٢.

يقول: لما جاءني الآيات الواضحات من عند ربي، وذلك آيات كتاب الله الذي أنزله^(١)، من الحجج والآيات أو من الآيات فإنها مقوية لأدلة العقل منبهة عليها^(٢)، فلست على شك من أمري، بل على يقين وبصيرة^(٣).

ولهذا يجب على الداعية أن يتعلم العلوم الشرعية؛ لأنه بذلك يدرك جميع صفات الكمال المطلوبة للداعية^(٤).

وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه حسن السعي فيها^(٥).

ثالثاً: الرفق:

الرفق من الأمور المهمة التي ينبغي أن يتحلى بها جميع الدعاة؛ حتى تقبل دعوتهم. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)^(٦).

- (١) جامع البيان، الطبري ٤١١/٢١.
- (٢) أنوار التنزيل، البيضاوي ٦٢/٥.
- (٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٤٢.
- (٤) انظر: منهج ابن القيم في الدعوة، أحمد الخلف ٢٤٦/١.
- (٥) التفسير القيم، ابن القيم ص ٤٨٦.
- (٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، ٤/٢٠٠٣، رقم ٢٥٩٣.

وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم من كانوا يناظرونه في هذه القضية إلى هذا الاجتماع الحاشد، لبيتهم الجميع إلى الله أن ينزل لعنته على الكاذب من الفريقين؛ فخافوا العاقبة وأبوا المباهلة وتبين الحق واضحاً^(٣)، فدل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني، فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها ولا يستفيدها هو^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فقد كان المؤمنون يسبون الأصنام بأنها أجرام لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر، فأنزل الله نهيهم عن ذلك لئلا يتذرع به المشركون فينتقمون منهم فيسبون ربهم^(٥)، فمثل هؤلاء لا يصلح ذم آلهتهم وسبهم؛ لأنهم سيزدادون سفهاً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلَّتِي الَّتِي يَدْعُوكَ بِهَا وَإِنَّكَ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا قَدْ كَانَتْ هَٰؤُلَاءِ حَتَمًا مَّقْضًى

وَمَا يَنْفَعُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٤﴾ [فصلت: ٣٣-٣٤].

وهذا في حال من له عقل وخلق.

(٣) المصدر السابق ١/ ٤٠٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٣٣.

(٥) العذب النمير، الشنيطي ٨٦/٢.

كل ما أمر به، فيدخل فيه الأمر بالإيمان إلا أنه أعاد ذكر الإيمان على التبيين، لأجل أنه أهم الأقسام وأشرفها، وقد جرت عادة القرآن بأنه يذكر اللفظ العام، ثم يعطف عليه أشرف أنواعه^(١)، فاعتبروا نزول هذا الكتاب إلى الأرض دعوة من الله لكل من بلغته من إنس وجن، واعتبروا محمداً صلى الله عليه وسلم داعياً لهم إلى الله بمجرد تلاوته لهذا القرآن، واستماع الثقلين له: فنادوا قومهم: ﴿يَقَوْمَنَا أَلْبِسُوا دَعَايَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾^(٢)، فكان هؤلاء الدعاة من الجن متلطفين في خطاب قومهم، رفيقون بمن يدعونهم إلى الحق المبين.

رابعاً: مراعاة حال المدعوين:

يختلف حال المدعوين من شخص لآخر ومن قبيلة لأخرى؛ لذا جاء في آيات الدعوة ما يبين كيفية التعامل معهم، ويوضح الطريق الذي ينبغي أن يسير عليه الداعية في دعوته مع الناس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَقَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَكَفَتِ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

ففي هذه الآية ومثيلاتها تظهر الشدة على هؤلاء المعاندين المكذبين.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٨/ ٢٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٢٣٧٤.

على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذّبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار، ﴿كَمَا صَبَرْنَا وَلَوْ أَنَّكَ مِنَ الرُّسُلِ﴾ على القيام بأمر الله، والانتفاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره، ما نالهم فيه من شدة^(٣).

ويعد الصبر من أهم مقومات نجاح الداعية، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِبَيْنَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله، وترك زواجه، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاء وهم به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا، سلبوا ذلك المقام، وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه، فلا عملاً صالحاً، ولا اعتقاداً صحيحاً^(٤)، وذلك للإيحاء للقلّة المسلمة يومذاك في مكة أن تصبر كما صبر المختارون من بني إسرائيل، وتوقن كما أيقنوا، ليكون منهم

أي: ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك، ويعفوك عمن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، ويلقاك من قبلهم^(١)؛ لأن مقابلة إساءته بالإحسان تخجله وتقضي على عداوته حتى يضطر إلى أن يرجع صديقاً^(٢). وقد ظهرت هذه المراعاة لأحوال المدعوين جلية واضحة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته، حيث بين دعوته، بل أمر معاذاً أن يراعي ذلك حين بعثه إلى اليمن.

خامساً: الصبر:

يعتبر الصبر من القواعد الأساسية للدعاة، خاصة وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصفوا بذلك في كثير من مواطن القرآن، بل أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال تعالى له: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَلَوْ أَنَّكَ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرْوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فيقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مثبته على المضى لما قلّده من عبء الرسالة، وثقل أحمال النبوة صلى الله عليه وسلم، وأمره بالالتساء في العزم

(٣) جامع البيان، الطبري ٢٢/١٤٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٣٣١.

(١) جامع البيان، الطبري ٢١/٤٧١.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي ٤/٤٣٥.

المدعو إليه

أشار القرآن الكريم إلى مجموعة من الأمور التي يدعى إليها المدعوون، ومن تلك الأمور:

أولاً: الإيمان:

وحقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر؛ لأنه تصديق مجرد لله ورسوله، فالؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواءً شاهده، أو لم يشاهده، وسواءً فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه^(١).

ومن الآيات التي تحدثت عن الدعوة إلى الإيمان بالله وما يتبع ذلك هذه الآيات التي بين أيدينا:

فقله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

أئمة للمسلمين كما كان أولئك أئمة لبني إسرائيل؛ ولتقرير طريق الإمامة والقيادة، وهو الصبر واليقين^(٢).

وقد بين الله تعالى أن من علم أساس دعوته هان عليه ما يبذل من أجلها، فازداد صبراً وثباتاً عليها كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣].

والداعية لا يمكنه الوصول إلى مبتغاه إلا أن يمر بجسر الابتلاء، وهذا يحتاج إلى وسيلة تذلل تلك العقبات ألا وهي: الصبر^(٣).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/ ٢٨١٤.

(٢) انظر: منهج ابن القيم في الدعوة، أحمد الخلف ١/ ٢٦٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٠.

أنزل الله من قبل الكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو التوراة والإنجيل^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨) ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٩) [الفتح: ٨-٩].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢) [الشورى: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَكَ فَادِحٌ وَأَسْتَقِيمٌ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا نَنْبِغُ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٥٥) [الشورى: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٨) [الحديد: ٨].

وغيرها من الآيات كثير. فهذه الآيات وغيرها ترشدنا إلى ما يأتي: * أن أساس الدعوة هو وجوب الإيمان بالله تعالى وما جاء عنه. * أن دعوة الرسول دعوة إلى الإيمان

أي: بما دعوا إليه من القرآن الحكيم^(١). وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) [البقرة: ١٨٦].

أي: يحصل لهم الرشd الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة. ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٣٦) [النساء: ١٣٦].

يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، بمن قبل محمد من الأنبياء والرسل، وصدقوا بما جاؤوهم به من عند الله ﴿ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، يقول: صدقوا بالله وبمحمد رسوله، أنه لله رسول، مرسل إليكم وإلى سائر الأمم قبلكم ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾، يقول: وصدقوا بما جاءكم به محمد من الكتاب الذي نزل الله عليه، وذلك القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾، يقول: وآمنوا بالكتاب الذي

(١) محاسن التأويل، القاسمي ١/ ٣٦٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٧.

(٣) جامع البيان، الطبري ٩/ ٣١٢.

الصحيح.

✽ أن آيات الدعوة والوعظ وغيرها اهتمت كثيرًا بتوجيه المؤمنين إلى ما يجب أن يستمسكوا به ويتخلقوا به؛ ليكونوا كاملي الإيمان.

ثانيًا: التقوى:

والتقوى الكاملة: امتثال أمر الله وأمر رسوله، واجتناب نهيهما وتصديق خبرهما، وإذا جمع الله بين التقوى والبر ونحوه، كانت التقوى اسمًا لتوقي جميع المعاصي، والبر اسمًا لفعل الخيرات، وإذا أفرد أحدهما، دخل فيه الآخر^(١).

وقد تقدم عن بعض ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

يضاف إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ [مريم: ٩٧].

ومن أفضل ما قال المفسرون: في هذه الآية الكريمة وأمثالها من الآيات زواجر عظيمة ينبغي لنا أن نعتبرها؛ لأن خالقنا جل وعلا يبين لنا في أول سورة الأعراف من هذا المحكم المنزل الذي هو آخر كتاب نزل من السماء على آخر نبي بعثه الله في أرضه

صلى الله عليه وسلم قال: إنه أنزل عليه هذا الكتاب ليخوف به الخلق من عقوبات خالق السماوات والأرض وسخطه، فإنه الجبار الأعظم الذي إذا سخط عاقب العقوبة المهلكة المستأصلة، فبهذا يجب علينا أن نتأمل في معاني القرآن، ونعرف أوامر ربنا التي أمرنا بها فيه، ونواهيه التي نهانا عنها، ونخاف من هذا الإنذار، والتهديد الذي أنزل هذا القرآن على الرسول ليفعله بمن لم يعمل بهذا القرآن العظيم.

فالإنسان يجب عليه أن يتدبر هذا القرآن العظيم، وينظر أوامره، وينظر نواهيه، ويعمل بما فيه من الحلال والحرام، فالحلال ما أحله الله في هذا القرآن وبيته السنة الكريمة، والدين ما شرعه الله؛ لأنه لا حكم إلا لله، فكل الأحكام هي لله، والتشريع لله، والتحليل والتحریم لله، وقد أنزل علينا هذا الكتاب ليخوفنا إذا لم نعمل بما فيه من العبر والآيات، فنحل حلاله، ونحرم حرامه، ونعتقد عقائده، ونعمل بمحكمه، ونؤمن بمتشابهه، ونعتبر بما فيه من الأمثال، وتلين قلوبنا لما فيه من المواعظ وضروب الأمثال. فهذا الإنذار لا ينبغي للمسلم أن يهمله ويعرض عنه صفاً^(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٤٥.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي ١٨/٣.

موضوع الدعوة ومنها: قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

فلما بين جل وعلا أنه العظيم الأعظم، خالق السماوات والأرض وخالق الشمس والقمر والنجوم، ومسخر الجميع، وبين عظمته وجلاله، أمر خلقه الضعاف المساكين أن يسألوه ويدعوه ليأتيهم بما يطلبون، ويكشف عنهم من الضر ما يسألون كشفه، والمراد بذلك: كأنه يقول: أنا العظيم الأعظم الجبار، الذي خلق السماوات والأرض والكواكب العظام، وأنا خالق كل شيء، وأنتم عبادي الفقراء الضعاف فادعوني؛ لأن الدعاء يستشعر به الداعي ذله وفقره وضعفه وحاجته، ويستشعر به عظمة من يدعو، وأنه عالم بكل شيء، لا يخفى عليه دعاؤه ولو كان في أخفى الخفاء، وأنه عظيم قادر على كل شيء، قادر على أن يذهب عنه بالضر ويأتيه بالخير، وهو من أعظم العبادات إذا كان مخلصاً فيه لله؛ ولذا أمر الله خلقه به في هذه الآية (٥).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ذكر الطبري أقوال العلماء في بيان ذلك،

(٥) العذب النмир، الشنقيطي ٣/ ٣٩٨.

وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ [الزمر: ١٠].

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه ﴿قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي: لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم (١)، فاتقوه بطاعته واجتناب معصيته (٢)، أي: قل منادياً لأشرف الخلق، وهم المؤمنون، أمراً لهم بأفضل الأوامر، وهي التقوى، ذاكرًا لهم السبب الموجب للتقوى، وهو ربوبية الله لهم وإنعامه عليهم، المقتضي ذلك منهم أن يتقوه، ومن ذلك ما من الله عليهم به من الإيمان، فإنه موجب للتقوى (٣).

فالاهتمام بالدعوة إلى التقوى أمر جللي، دعت إليه الآيات وبيّنتها غاية البيان؛ ليعلم أن الأمر بالتقوى مقصد مهم عظيم من مقاصد الدعوة في القرآن الكريم.

ثالثاً: العبادة:

وهي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة (٤).

ويظهر ذلك في الآيات الواردة في

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٧٩.

(٢) معالم التنزيل، البغوي ٧/ ١١١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٢٠.

(٤) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٥/ ١٥٤.

يتركه الله وحيداً^(٢).

رابعاً: الأخلاق:

يلاحظ أن الآيات التي تحدثت عن الأخلاق، تضمنت الدعوة لفعلها والتحلي بها، ومن الآيات الواردة معنا في ذلك ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَقْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلِخَوْنِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥﴾ [الأحزاب: ٥].

فهذا العدل الإلهي، أن لا ينال حق الابن إلا من يكون ابناً، أما المتبني واللصيق فلا يكون له إلا حق المولى والأخ في الدين؛ فحرم الله على المسلمين أن ينسبوا الدعي لمن تبناه، وحظر عليهم أن يقتطعوا له شيئاً من حقوق الابن لا قليلاً ولا كثيراً. وشدد الأمر حتى قال: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

فهو يعفو عن اللفظة تصدر من غير قصد بأن يقول الرجل لآخر: هذا ابني، أو ينادى شخص آخر بمثل ذلك، لا عن قصد التبني^(٣)، وإنه لقسط وعدل أن يدعى الولد

ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: استجبوا لله وللرسول بالطاعة، إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق؛ وذلك أن ذلك إذا كان معناه، كان داخلياً فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدو والجهاد، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن، وفي الإجابة إلى كل ذلك حياة المجيب، أما في الدنيا، فبقاء الذكر الجميل، وذلك له فيه حياة، وأما في الآخرة، فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَاَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ٤٨﴾ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ [مریم: ٤٨-٤٩].

وإذا كان وجودي إلى جوارك ودعوتي لك إلى الإيمان تؤذيك فسأعتزلك أنت وقومك، وأعتزل ما تدعون من دون الله من الآلهة، وأدعو ربي وحده، راجياً -بسبب دعائي لله- ألا يجعلني شقياً، فالذي يرجوه إبراهيم هو مجرد تجنبه الشقاوة، وذلك من الأدب والتخرج الذي يستشعره، فهو لا يرى لنفسه فضلاً، ولا يتطلع إلى أكثر من تجنبه الشقاوة!

وهكذا اعتزل إبراهيم أباه وقومه وعبادتهم وآلهتهم وهجر أهله ودياره، فلم

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٣١٢.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٨/ ٨٤.

(١) جامع البيان، الطبري ١٣/ ٤٦٥.

أساليب الدعوة

للدعوة أساليب تتخذ للوصول إلى الهدف المطلوب من أقرب طريق وأخصره، وبالنظر في الآيات الواردة في الحديث عن الدعوة يمكن القول أن أساليب الدعوة كما يأتي:

أولاً: أساليب عقلية:

من أعظم الحجج التي تقام برهاناً للشيء ونفيه الحجج العقلية التي تلزم الخصم بالتسليم^(٢)، وهذا الأسلوب يستخدم مع المعارضين الجاحدين^(٣)، لتفنيد شبههم ومحاولة إقناعهم، ومن الآيات التي تتحدث عن هذا المقام ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إَلَّا إِنْنَا وَانْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧].

أي: ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إناثاً، أي: أوثاناً وأصناماً مسميات بأسماء الإناث كـ«العزى» و«مناة» ونحوهما، ومن المعلوم أن الاسم دال على المسمى، فإذا كانت أسماءها أسماء مؤنثة ناقصة، دل ذلك على نقص المسميات بتلك الأسماء، وفقد لها صفات الكمال، كما أخبر الله تعالى في غير موضع من كتابه، أنها لا

لأبيه، عدل للوالد الذي نشأ هذا الولد من بضعة منه حية. وعدل للولد الذي يحمل اسم أبيه، ويرثه ويورثه، ويتعاون معه ويكون امتداداً له بوراثاته الكامنة، وتمثيله لخصائصه وخصائص آبائه وأجداده، وعدل للحق في ذاته الذي يضع كل شيء في مكانه، ويقيم كل علاقة على أصلها الفطري، ولا يضع مزية على والد ولا ولد كما أنه لا يحمل غير الوالد الحقيقي تبعة البنوة، ولا يعطيه مزاياها. ولا يحمل غير الولد الحقيقي تبعة البنوة ولا يحاييه بخيراتها، وهذا هو النظام الذي يجعل التبعات في الأسرة متوازنة، ويقيم الأسرة على أساس ثابت دقيق مستمد من الواقع، وهو في الوقت ذاته يقيم بناء المجتمع على قاعدة حقيقية قوية بما فيها من الحق، ومن مطابقة الواقع الفطري العميق^(١).

(٢) انظر: معالم الدعوة، الديلمي ٢٩٩/١.

(٣) انظر منهج ابن القيم، أحمد الخلف ١/٣٣٦.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/٢٨٢٥.

تخلق ولا ترزق ولا تدفع عن عابديها بل ولا عن نفسها نفعا ولا ضرا ولا تنصر أنفسها ممن يريد لها بسوء، وليس لها أسماع ولا أبصار ولا أفئدة، فكيف يعبد من هذا وصفه ويترك الإخلاص لمن له الأسماء الحسنى والصفات العليا والحمد والكمال، والمجد والجلال، والعز والجمال، والرحمة والبر والإحسان، والانفراد بالخلق والتدبير، والحكمة العظيمة في الأمر والتقدير؟

هل هذا إلا من أقبح القبيح الدال على نقص صاحبه، وبلوغه من الخسة والدناءة أدنى ما يتصوره متصور، أو يصفه واصف؟ ومع ذلك فعبادتهم إنما صورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة، وبالحقيقة ما عبدوا غير الشيطان الذي هو عدوهم الذي يريد إهلاكهم ويسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه، الذي هو في غاية البعد من الله، لعنه الله وأبعده عن رحمته، فكما أبعده الله من رحمته يسعى في إبعاد العباد عن رحمة الله^(١)، فمن أصدق من الله قیلاً، ومن أحسن من الله حديثاً، في بيان حقيقة ما يدعوه المشركون.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمْتَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١٥) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ

يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَأْذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١١٥﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥].

وإنما أطلق على الأصنام اسم العباد وعبر عنها بضمائر العقلاء؛ لأن الكفار يصفونها بصفات من هو خير من مطلق العقلاء، أنها معبودات، وأنها تشفع وتقرب إلى الله زلفى، فهذا الاعتبار أجرى عليها ضمائر العقلاء، وعبر عنها بالعباد ووجه مماثلتهم هنا: أن الكفار العابدين، والأصنام المعبودات كلهم مخلوقات لله لا تقدر أن تجلب لنفسها نفعا ولا أن تدفع عنها ضرا، فهم من قبيل تسخير الله لهم، وخلقه للجميع، وقدرته على الجميع، بهذا الاعتبار هم سواء^(٢).

ومن الآيات في هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٠﴾ أَمْ تَأْتِيهِمْ أَلْهَاءٌ ﴿١١﴾ وَهُمْ يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ ۖ وَلَا يَبْنِيكَ مِنْ لَدُنْ خَيْرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ٢٠-٢١].

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٠٣.

(٢) العذب النمير، الشنيطي ٤/ ٤٢٦.

ثانيًا: أساليب عاطفية:

ويظهر أن هذا الأسلوب قد يجمع بين أسلوبَي الحكمة والموعظة، فأسلوب الحكمة لأصحاب العقول النيرة والفطر المستقيمة، وأسلوب الموعظة أسلوب يسهل فيه الوضوح البساطة وعدم التعقيد^(١).

والآيات في ذلك كما في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيِّنُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

فالله تعالى يقول لهم بخطاب الرأفة والرحمة، اقبلوا من الله ما أمركم به فاعملوا به، وانتهوا عما نهاكم عنه، فإنه يدعوكم إلى الجنة، يعني: بذلك يدعوكم إلى العمل بما يدخلكم الجنة، ويوجب لكم النجاة إن عملتم به من النار، وإلى ما يمحو خطاياكم أو ذنوبكم، فيعفو عنها ويسترها عليكم^(٢)، فيا بش من ترك دعوة الله واتبع ما يغضبه ويأباه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فلا بد من جماعة تدعو إلى الخير، وتأمّر

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ لَيَقُوْلُنَّ اللّٰهُ قُلْ اَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ اَرَادَنِي اللّٰهُ بِضَرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرِّيْهِ اَوْ اَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْسِكَةٌ رَّحْمَتِيْهِ قُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُوْنَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وغيرها من الآيات، ومن خلال هذه الآيات ألحظ من الدلائل العقلية ما يأتي:

❖ أن من لم تكن دعوته ودعاؤه إلى الله تعالى فلا بد أن تكون شركًا لغير الله.

❖ كل ما يدعى من دون الله - مهما كانت منزلته - إنما هو عبد لله تعالى.

❖ الدعوة الحق هي الدعوة إلى الله والدعوة التي جاءت منه وأمرنا بها عن طريق رسله.

❖ من يدعى من دون الله تعالى لم يخلق نفسه أصلًا، فضلًا أن يكون مشاركًا لله في خلق السموات والأرض، ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فضلًا عن أن يهبها لغيره.

وبهذه الدلائل العقلية اتخذت الدعوة إلى الله أسلوبًا عقليًا مقنعًا؛ لتبطل كل دعوة إلى غير الله، والأساليب العقلية التي وردت عن الأنبياء في دعوتهم سائير إليها في نماذج الدعاة من الأنبياء.

(١) انظر: منهج ابن القيم في الدعوة، أحمد الخلف ١/٣٠١-٣٠٧.

(٢) جامع البيان، الطبري ٤/٣٧١.

بالمعروف وتنتهي عن المنكر، لا بد من سلطة في الأرض تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنتهي عن المنكر، والذي يقرر أنه لا بد من سلطة هو مدلول النص القرآني ذاته، فهناك دعوة إلى الخير، ولكن هناك كذلك أمر بالمعروف، وهناك نهى عن المنكر، وإذا أمكن أن يقوم بالدعوة غير ذي سلطان، فإن الأمر والنهي لا يقوم بهما إلا ذو سلطان، هذا هو تصور الإسلام للمسألة، إنه لا بد من سلطة تأمر وتنتهي، سلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر، سلطة تتجمع وحداتها وترتبط بحبل الله وحبل الأخوة في الله، سلطة تقوم على هاتين الركيزتين مجتمعتين لتحقيق منهج الله في حياة البشر، وتحقيق هذا المنهج يقتضي دعوة إلى الخير يعرف منها الناس حقيقة هذا المنهج^(١).

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَجِئُوا لِلَّهِ رَبِّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۗ﴾ [الحج: ١٧٣].

أي: ومن هذه صفته كيف يعبد؟ ومن حق المعبود أن يكون خالقاً لعباده لا محالة وهم يخلقون، أي: بل هم مخلوقون

مصنوعون^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَقَوْمًا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝﴾ [الأحقاف: ٣١-٣٢].

والأساليب العاطفية التي وردت عن الأنبياء في دعوتهم ساشير إليها في نماذج الدعاة من الأنبياء، وهذا الأسلوب يجمع بين العاطفة والعقل.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي ٥/ ٢٣٧.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٤٤٤.

ثالثاً: أساليب حسية:

من الأساليب التي سلكتها الآيات في بيان طريق الدعوة ووجوب الاعتصام بها الأساليب الحسية، فما من نبي يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى إلا أجرى الله له من المعجزات الحسية ما يؤكد صدق دعوته، والأساليب الحسية التي وردت عن الأنبياء في دعوتهم سائير إليها في نماذج الدعوة من الأنبياء.

ومن الأساليب الحسية الواردة في آيات الدعوة ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَنزِلْنَا إِلَيْكَ الْوَحْيَ وَأَوْثَقْنَا بِهَا الْكُتُبَ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣].

يقول تعالى منكراً على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتايبهم اللذين بأيديهم، وهما: التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد^(١).

فهذان أمران حسيان كتاب الله الذي كان بأيديهم، ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي جاء به.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فالنهي عن مباشرة شيء يشاهده الذين يدعون من دون الله ويسمعونه.

وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذه الآية محكمة ثابتة غير منسوخة، وهي أصل أصيل في سد الذرائع وقطع التطرق إلى الشبه^(٢)، فإحساس المشركين بسبب آلهتهم يجعلهم يسبون الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٥٠] بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [٥١] [الأنعام: ٤١].

ففي هذه الآية الكريمة عاب الله على الكفار سخافة عقولهم، وأنهم إذا نزلت بهم شدة من العظام الشداد - كمشاهدة العذاب أمام أعينهم وإحساسهم به، أو لو رأوا الساعة عياناً وأحسوا بها - أخلصوا في ذلك الوقت الدعاء إلى الله، وتركوا دعاء غير الله؛ لعلمهم بأنه لا ينفع ولا يضر وهذا ذم من الله للكفار، ذمهم به في آيات كثيرة من كتابه^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٢/ ١٧٢.

(٣) العذب النмир، الشنقيطي ١/ ٢٣٣.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٢٣.

صَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَ قَلَمًا تَجَنَّبُوا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿١٧﴾ [الإسراء: ٦٧].

والسياق يعرض هذا المشهد، مشهد الفلك في البحر، نموذجاً للحظات الشدة والحرج؛ لأن الشعور بيد الله في الخضم أقوى وأشد حساسية، ونقطة من الخشب أو المعدن تائهة في الخضم، تتقاذفها الأمواج والتيارات والناس متشبثون بهذه النقطة على كف الرحمن، إنه مشهد يحس به من كابده، ويحس بالقلوب الخافقة الواجفة المتعلقة بكل هزة وكل رجفة في الفلك صغيراً كان أو كبيراً^(١)، فهو أسلوب حسي قوي في الدعوة إلى توحيد الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وكل هالك فهلاكه محسوس بين الخلائق حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يبقى إلا الله وحده؛ لذا وجب أن لا يدعى إلا هو.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِئُونَ كِتَابَ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُكْرَفُونَ مِنْ عَلَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

أي: اثبوني بكتاب من قبل هذا الكتاب

يعني القرآن فإنه ناطق بالتوحيد، أو إثارة من علم أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين عل فيها ما يدل على استحقاتهم للعبادة أو الأمر به^(٢)، فلا بد من إقامة الدليل الحسي من كتاب قديم أو علم يدل دلالة واضحة على جواز دعواهم لغير الله تعالى، ولما لم يكن لهم دليل على ذلك؛ ظهر بطلان ما يدعونه وقامت الحجة عليهم، مما يوجب عليهم الرجوع من الدعوى الباطلة، إلى لزوم دعوة الحق والاعتصام بها.

(٢) انظر: الكشف الزمخشري ٢٩٥/٤، أنوار التنزيل، البيضاوي ١١١/٥.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢٢٤٠/٤.

موقف المدعوين من الدعوة

تعتبر الدعوة أمراً موجّهاً إلى جميع الثقليين استناداً لأصل الإيجاد؛ ذلك أن الله تعالى قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقد كانت الرسل ترسل إلى أممها، فمنهم من يستجيب لهم، ومنهم من يعرض عنهم، ومنهم من يصدّهم عن دعوتهم وتبليغ رسالتهم، وبيان ذلك كما يأتي:

أولاً: المستجيبون للدعوة:

الضعفاء هم أكثر أتباع الرسل، وذلك كما قال تعالى -وهو يحدثنا عن ما جرى بين نوح وقومه أنهم قالوا له: -كما حكاها الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ١٥ ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ﴾ ١٦ فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا نَّثَلْنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَوْنَا بِأَدْوَىٰ الرَّأْيِ وَمَا زَيَّ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَنظُرُكُمْ كَذِبِينَ﴾ ١٧ [هود: ٢٥-٢٧].

فهذا اعتراض الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه وهو دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل، بل الحق

الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء، ثم الواقع غالباً أن من يتبع الحق هم ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته (١).

وجاء في حديث ابن عباس أن هرقل لما سأل أبا سفيان قال له: «أشرف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قال أبو سفيان بل: ضعفاؤهم، فقال هرقل: كذلك هم أتباع الرسل (٢)».

ومن الآيات الواردة في بيان المستجيبين للدعوة:

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وتأويل الآية: ربنا سمعنا داعياً يدعو إلى الإيمان والتصديق بك، والإقرار بوحدايتك، واتباع رسولك، وطاعته فيما أمرنا به ونهانا عنه مما جاء به من عندك ﴿فَآمَنَّا رَبَّنَا﴾، يقول: فصدقنا بذلك يا ربنا؛ فاستر علينا خطايانا، ولا تفضحنا بها في القيامة على رءوس الأشهاد، بعقوبتك إيانا عليها، ولكن كفرها عنا، وسيئات أعمالنا،

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٧٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ٨/١، رقم ٧.

وامحها بفضلك ورحمتك إيانا ﴿وَوَقْنَا
مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(١)، فهي قلوب مفتوحة ما إن
تتلقى حتى تستجيب، وحتى تستيقظ فيها
الحساسية الشديدة، فتبحث أول ما تبحث
عن تقصيرها وذنوبها ومعصيتها، فتتجه إلى
ربها تطلب مغفرة الذنوب وتكفير السيئات،
والوفاة مع الأبرار^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِمْ يُرْجَعُونَ﴾^(٣)
[الأنعام: ٣٦].

أي: لا يجيبك إلى ما تطلب وتدعو
من الهدى، إلا الذين يسمعون، أي: جعل
الله لهم سماع حق وتفهم يسمعون به عن
الله، أما الذين أعمى الله أبصارهم، وختم
على آذانهم فلا يجيبونك أبداً، فلا تحزن
عليهم^(٣)، فالذين يستجيبون لدعوة الأنبياء
هم الذين استخدموا عقولهم وسمعهم
وأبصارهم الاستخدام الحقيقي.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى
الْحَارِثِيِّنَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا
وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٤) [المائدة: ١١١].

قيل: إن المراد بهذا الوحي وحي إلهام،
أي: ألهموا ذلك، فامثلوا ما ألهموا، ويحتمل
أن يكون المراد وإذ أوحيت إليهم بواسطة
فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله

(١) جامع البيان، الطبري ٧/ ٤٨٢.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٥٤٧.

(٣) العذب النمير، الشنقيطي ١/ ١٩٤.

واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك^(٤).
فهي دعوة للاستجابة لرسولهم، وفيه
دلالة على أن هناك استجابة في الأمم قبلهم
وبعدهم.

ثانياً: المعرضون عن الدعوة:

والأصل في المعرض أنه لم يقبل الدعوة
أصلاً، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَعْوَةٌ
الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ
إِلَّا كِبْسُطٌ كُتِبَتْهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا
دُعَاةُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(١) [الرعد: ١٤].

فالذي يترك الدعوة الحق فهو معرض
عنها لا محالة.

ومن لم يجب داعي الله تعالى، وأجاب
داعي غيره إما آلهة ما أنزل بها من سلطان،
أو الشيطان الرجيم وغيره، فذلك كما أخبرنا
الله تعالى عن حاله بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ
الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ
وَعَدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي
عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ
لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ إِنِّي
كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ
الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) [إبراهيم: ٢٢].

أي: دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله،

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٢٠١.

مَرِيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾
[الزخرف: ٥٧].

وقد كان أكابر القوم -الذين كانوا يخافون انتشار الدعوة بين الناس- يحرصون كل الحرص على إيجاد الهوة بين الأنبياء وسائر الناس، وهذا الأسلوب من أخطر الأساليب في الصد عن دين الله، التي مارسها أعداء الدعوة منذ القدم (٤).

ومن الآيات الواردة في شأن الدعوة والتي تبين حال هؤلاء قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وهذه نتيجة صدهم التي يصبون إليها، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١].

وهذا المقام الذي تبوءوه فصدوا عن دعوة الله، وقادوا غيرهم لدعوى باطلة، ومن أوضح ما يميزهم ويوضح حالهم بكل جلاء قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢].

وما الذي أوصلهم إلى هذا الأمر إلا اتباع أهوائهم ودعوة غير الله تعالى والإعراض عن دعوته؛ لذا أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالتباين التام معهم فقال له: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ

فاستجبتم لدعائي (١)، يعني: ما كان مني إلا مجرد هذه الدعوة (٢)، فعادة المعرض أن يعرض عن أمر لاستحسان غيره في نفسه، أو للحصول على شيء معين مع علمه بصفاء ما أعرض عنه، أو غير ذلك من الأمور الصارفة عن الحق إلى الباطل. ومن كان في طاعة الهوى في دينه، يتبعه في كل ما يأتي ويذر، لا يتبصر دليلاً، ولا يصغى إلى برهان؛ فهو عابد هواه، وجاعله إلهه (٣).

ثالثاً: الصادون عن الدعوة:

وأكثر الصادين عن الدعوة هم الكبراء والمنافقون، ففي حال الكبراء يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٤٥].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعْلَمُهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤].

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [هود: ١٩].

ويقول تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ

(١) جامع البيان، الطبري ١٦/٥٦١.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١٩/٨٦.

(٣) الكشف، الزمخشري ٣/٢٨٢.

(٤) معالم الدعوة، الديلمي ٢/٧٢٦.

عن اتباع حملة الحق ودعائه، أو صد الدعوة
عن استمرارهم في الدعوة إلى الله تعالى
وتبليغ دينه إلى الناس^(١).

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُنتُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ [الأنعام: ٥٦].

بل ربما وصل الأمر بالصد عن الدعوة
ولو في جزء منها، كما قال تعالى: ﴿مَتَّانَةً
هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَحْمِلُ عَنْ
نَفْسِهِ ۖ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ ۖ وَأَن تَكُونُوا
تَتَرَكُوا يَسْتَدِيلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ
﴿٣٨﴾ [محمد: ٣٨].

فعادة البخيل إن تمكن منه البخل؛ دعا
غيره إلى أن يكون بخيلاً مثله، وربما شجّعه
على ذلك وذكر له ما يخيل إليه أن البخل خير
من الإنفاق، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا
اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَالَّذِينَ إِحْسَنَّا
وَبَذَى الْقُرَيْنِ ۖ وَالْيَتَامَى ۖ وَالْمَسْكِينِ ۖ وَالْجَارِ
ذِي الْقُرْبَى ۖ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ۖ وَالصَّاحِبِ
بِالْجُنُبِ ۖ وَأَبْنَى السَّبِيلِ ۖ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾
الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ
وَيَكْسِبُونَ مَاءً آثَمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾
[النساء: ٣٦-٣٧].

فدعوة الله تعالى لهم للإنفاق قد أعرضوا
عنها وأمروا غيرهم وصدوهم عن دعوة الله
تعالى.

ومن شأن الكفار أن يبدلوا كل سبيل
للصد عن سبيل الله تعالى، سواء كان صدًا

(١) المصدر السابق ٢ / ٧٧١.

نماذج من الدعوة

أولاً: الأنبياء والرسل:

تعتبر قصص القرآن الكريم من القضايا التي تكررت كثيراً خاصة فيما جرى بين الأنبياء وبين أقوامهم.

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع: فالنوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام^(١).

وحتى لا يطول الحديث عن هذه النماذج فسأذكر ذلك في أمرين:

١. دعوة الرسل عموماً.

دعوة الرسل أجمع هي: الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراجه بالعبادة وحده دون سواه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص ٣١٧.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَنْ نَقْنُقَ عَنْ إِلَهِكُمْ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْآيَاتِ الْكُذْبَىٰ وَمَنْ يَتَّبِعْ الْآيَاتِ الْكُذْبَىٰ يَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْآيَاتِ الْكُذْبَىٰ وَمَنْ يَتَّبِعْ الْآيَاتِ الْكُذْبَىٰ يَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وأمر الله تعالى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذِهِ الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَهْلُكُمْ لَتَشْهَدُنَّ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَإِنِّي بِرُبِّي مُتَشَكِّكٌ﴾ [الأنعام: ١٩].

وكانت القاعدة العامة في كل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فعلم من هذا أن دعوة الرسل جميعًا هي: الدعوة إلى توحيد الله تعالى وحده لا شريك له، وكان هذا جواب من النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة حين قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، فقال: (دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له بصري)^(١).

ودعوة الرسل في القرآن الكريم لم تذكر فيها من التفاصيل سوى اليسير، وجل ما ذكر عنهم هو الاهتمام بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، والكفر بكل الطواغيت التي تعبد من دون الله^(٢).

وهذا هو الأصل؛ لأن الداعي لا يتنقل إلى الفروع إلا بعد التأكيد على معاني العقيدة، كما فعل الأنبياء في دعوتهم^(٣).

٢. نماذج من دعوة الرسل.

وسأذكر من الرسل: نوحًا وإبراهيم وموسى ومحمدًا عليهم الصلاة والسلام وذلك فيما يأتي:

❁ دعوة نوح عليه السلام.

وأهم الآيات التي تتحدث عن دعوته عليه الصلاة والسلام ما يأتي:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١) [العنكبوت: ١٤].

مع طول مدة الدعوة إلا أنهم لم ينجع فيهم البلاغ والإنذار^(٤)، بسبب كفر قومه.

قال الزمخشري: «فإن قلت: هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة؟

قلت: ما أورده الله أحكم، لأنه لو قيل كما قلت، لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك، وكأنه قيل: تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أنّ ذلك أخصر وأعذب لفظًا وأملًا بالفائدة، وفيه نكتة أخرى: وهي أنّ القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة، تسليةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتًا له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه، أوقع وأوصل إلى الغرض من استطراد السامع مدة صبره»^(٥).

وكان الوقت الذي قضاه نوح عليه السلام وقتًا طويلاً، ومع ذلك كان فيه كامل النشاط

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٧٩/٢٨، رقم ١٧١٥٠، عن عرياض بن سارية.

وضعه الألباني في ضعيف الجامع، ص ٣٠٥، رقم ٢٠٩١.

(٢) معالم الدعوة، الديلمي ٦٣/١.

(٣) انظر: أساليب الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٤٢٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٢٤٢.

(٥) الكشف، الزمخشري ٣/٤٤٥.

بِسْمِ اللَّهِ تَجَرَّبْنَاهَا وَمُرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾
وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ
أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ بِنُحٍّ أَرْكَبَ مَعَنَا
وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْوِي إِلَيَّ جَبَلٍ
يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعَ وَمَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
الْمُتَفَرِّقِينَ ﴿٤٣﴾ [هود: ٤٠-٤٣].

حرص نوح عليه السلام على دعوة قومه
عامة، وأهل بيته خاصة.

وتصف الآيات السابقة ما دار بين نوح
عليه السلام وابنه، فقد كان ذلك النداء من
نوح لابنه خوفاً عليه من الغرق^(٢)، وشفقة
الأبوة حملته على ذلك النداء^(٣)؛ لكن الابن
كان كافراً، عَمِلَ عملاً غير صالح، فخالف
أباه في دينه ومذهبه، فهلك مع من هلك،
وقد نجا مع أبيه الأجانب في النسب، لما
كانوا موافقين في الدين والمذهب^(٤).

وكانت عاطفة الأبوة ظاهرة في محاولة
إنقاذ نوح لابنه من الغرق في شدة تلاطم
الأمواج، وكان أسلوب العاطفة ظاهراً في
مناداة نوح لربه حتى بعد انقضاء الأمر،
وتوقف الماء، إضافة إلى ذلك أنه قد
استخدم مع قومه الأسلوب الحسي، فقبل
الغرق حثهم على التفكير في مطر السماء
والحصول على المال والبنيان، والسموات

(٢) جامع البيان، الطبري ٣٢١/١٥.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٥١/١٧.

(٤) قصص الأنبياء، ابن كثير ١٠٣/١.

جاءاً في العمل؛ لأن من عرف ما يطلب هان
عليه ما يذل، وهذا مما يوجب على الدعوة
بعده الاقتداء به في ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا لَكُمْ عَلَى مَقَامِي
وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَاعْلَى اللَّهُ تَوَكَّلْتُ
فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ
عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾
فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا
عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾
فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ
خَلْقَافَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عِقَابُ الْمُتَذَكِّرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس: ٧١-٧٣].

بمعنى إن كان الأمر قد بلغ منكم مبلغ
الضيق، فلم تعودوا تتحملون بقائي فيكم،
ودعوتي لكم، وتذكيري لكم بآيات الله،
فأنتم وما تريدون، وأنا ماض في طريقي
لا أعتد إلا على الله، فماذا كان وراء نوح
من القوة والعدة؟ وماذا كان معه من قوى
الأرض جميعاً؟ كان معه الإيمان، القوة
التي تتصاغر أمامها القوى، وتتضاءل أمامها
الكثرة، ويعجز أمامها التدبير^(١).

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ
الطُّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا
ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿١٠﴾﴾ وقال أَرْكَبُوا فِيهَا

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/١٨١١.

المضني، والعناء المرهق، والصبر الجميل، والإصرار الكريم من جانب الرسل صلوات الله عليهم لهداية هذه البشرية الضالة العنيدة العصية الجامحة، وهي حصيلة مريرة.

ولكن الرسالة هي الرسالة، وهذه التجربة المريرة تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي انتهت إليه أمانة دعوة الله في الأرض كلها في آخر الزمان، واضطلع بأكبر عبء كلّفه رسول، يرى فيها صورة الكفاح النبيل الطويل لأخ له من قبل، لإقرار حقيقة الإيمان في الأرض، ويطلع منها على عناد البشرية أمام دعوة الحق، وفساد القيادة الضالة، وغلبتها على القيادة الراشدة.

ثم إرادة الله في إرسال الرسل ترى بعد هذا العناد والضلال منذ فجر البشرية على يدي جدّها نوح عليه السلام، وتعرض على الجماعة المسلمة في مكة، وعلى الأمة المسلمة بعامة، وهي الوارثة لدعوة الله في الأرض، وللمنهج الإلهي المنبثق من هذه الدعوة، القائمة عليه في وسط الجاهلية المشتركة يومذاك، وفي وسط كل جاهلية تالية، ترى فيها صورة الكفاح والإصرار والثبات هذا المدى الطويل من أبي البشرية الثاني، كما ترى فيها عناية الله بالقلة المؤمنة، وإنجاءها من الهلاك الشامل

الطباقي، ونور القمر وسراج الشمس وغيره، وفي حادثة الغرق أراهم صناعة السفينة وأمرهم بالركوب فيها وحذرهم من الغرق.

وقال تعالى في سورة نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دَعْوَى إِلَّا فِرَارًا ۚ وَبِإِيَّائِي كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي مَآذِيهِمْ وَأَتَّخَفْتُمُ يَا نُوْحُ وَآمَرُوا بِأَسْكَابِكُمْ ۚ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ۚ ثُمَّ إِنِّي أَتَّخَفْتُمُ وَأَمَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۚ﴾ [نوح: ٩-٥].

بينت هذه الآيات شيئاً من معالم دعوة نوح عليه السلام، فهو يدعو قومه دائماً بلا فتور ولا توان^(١)، ويدعوهم على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة، فلم ينجح ذلك فيهم^(٢).

ونبيّ الله نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بذل كل ما يمكنه في سبيل الدعوة إلى الله^(٣)، وهذه السورة كلها تقص قصة نوح عليه السلام مع قومه، وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية، وشوطاً من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل ثم هي بعد هذا وذلك، تعرض صورةً من صور الجهد

(١) محاسن التأويل، القاسمي ٣٢٣/٩.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٣٥٦/٥.

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي ٣٠٦/٨.

في ذلك الحين^(١).

العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم، وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك تعريض بمعاندي أهل الكتاب والمشركون، أي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء إلا من سفه نفسه، أي: حملها على السفه وهو الجهل^(٣).

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن أن من خالف إبراهيم فيما سن لمن بعده، فهو لله مخالف، وإعلام منه لخلقه أن من خالف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهو لإبراهيم مخالف، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه اصطفاه لخلته، وجعله للناس إماماً، وأخبر أن دينه كان الحنيفية المسلمة، ففي ذلك أوضح البيان من الله تعالى ذكره عن أن من خالفه فهو لله عدو لمخالفته الإمام الذي نصبه الله لعباده^(٤)، ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه، أنا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء أن اتبع ملة إبراهيم حقيقاً وما كان من المشركون^(٥)، فأصل الدعوة وأساسها دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ملة التوحيد والتي أكدها وختمها محمد صلى الله عليه وسلم. وقد بين القرآن الكريم أن من الأساليب الدعوية التي استعملها إبراهيم عليه السلام: أسلوب الجدل والمناظرة.

فهل يتعظ بذلك الدعاة الذين سرعان ما يستولي اليأس على نفوسهم، ويسيثون الظن بأقوامهم، فيتسرعون في إصدار الأحكام الظالمة عليهم، وينهزمون أمام أية صدمة يتعرضون لها^(٢)، وبالفعل فإن دعوة نوح دائماً ما تكون منطلقاً للدعاة إلى الله في الأخذ بمتطلبات الدعوة؛ خاصة في عدم الاستعجال.

❁ دعوة إبراهيم عليه السلام.

وأهم الآيات التي تتحدث عن دعوته عليه الصلاة والسلام ما يأتي:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤) وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِي إِدَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٥) [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

فدعوته عليه السلام أساسها التوحيد، وبنائها الإخلاص لله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٣) [النحل: ١٢٣].

فهذا إنكار واستبعاد لأن يكون في

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٣٧٠٧.

(٢) منهج الأنبياء في الدعوة، محمد سرور ص ٥٦.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ١/ ٤٠٠.

(٤) جامع البيان، الطبري ٣/ ٩١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٥٢٥.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْتَبِي وَيُزِيمُ قَالَ أَنَا أُخِيءُ وَأُزِيمُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

أي: إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته، وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهاً كما ادعيت تحيي وتميت، فأنت بها من المغرب؟ فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام؛ بهت: أي: أخرس، فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة^(١)، وكانت هذه المناظرة دعوة من إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله تعالى والكفر بكل ما يدعى من دون الله، وبيان بطلانه والمجادلة في ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا زَرَّ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنْ أَرَادَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا

أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا رَأَى السَّمَسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفُورُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا فَشَرَكُونَ ﴿٨٠﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَبِيرًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨١﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَدِّثُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا وَلَا خَافُ مَا تُشْرِكُونَ يَوْمَ لَا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٢﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٧٤-٨١].^(٢)

يقول تعالى: واذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، مثنيًا عليه ومعظمًا حاله لدعوته إلى التوحيد، ونهييه عن الشرك^(٣). وقد شرح فرق المشركين - الذين تجب دعوتهم - في هذه السورة على أحسن الوجوه؛ وذلك لأن طائفة من المشركين يجعلون الأصنام شركاء لله تعالى، وإليهم الإشارة بقوله حكاية عن إبراهيم^(٤).

ولقد كانت هذه هي الحجة التي ألهمها الله إبراهيم ليدحض بها حجتهم التي جاءوا بها يجادلونه، ولقد كشف لهم عن

(٢) ووردت مثل هذه الآيات في سورة الصافات برقم ٨٣-١١١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٦٢.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ١٣/١٧٨.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٥٢٥.

يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَتَتْكَ هَذِهِ الْهَيْئَةُ
يَتَابِرْهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا
فَسْتَأْذِنُكُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا
إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾
ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ
يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ
﴿٦٦﴾ أَفَى لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن
كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا يَنْتَازِعُوهُنَّ بَرَدًا وَسَلَّمَا
عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ
الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: ٥١-٧٠].

تبين هذه الآيات أن من الأساليب
الدعوية التي استعملها إبراهيم عليه السلام:
المواجهة المباشرة، والتغيير باليد.
وهذا أسلوب دعوي عملي وهو: إزالة
المنكر فعلاً^(٢).

فيخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه
السلام أنه آتاه رُسده من قبل، أي: من صغره
ألهمه الحق والحجة على قومه^(٣)، فجمع
لهم بين الدليل العقلي، والدليل السمعي،
أما الدليل العقلي فإنه قد علم كل أحد حتى
هؤلاء الذين جادلهم إبراهيم أن الله وحده،
الخالق لجميع المخلوقات، من بني آدم،
والملائكة، والجن، والبهائم، والسموات،

(٢) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان
ص ٤٨٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٣٠٥.

وهن ما هم عليه من تصورهم أن هذه
الآلهة تملك أن تسيء إليه، وواضح أنهم
ما كانوا يجحدون وجود الله، ولا أنه هو
صاحب القوة والسلطان في الكون، ولكنهم
كانوا يشركون به هذه الآلهة، فلما واجههم
إبراهيم، بأن من كان يخلص نفسه لله لا
يخاف من دونه، فأما من يشرك بالله فهو
أحق بالمخافة، لما واجههم بهذه الحجة
التي آتاها الله له وألهمه إياها، سقطت
حجبتهم، وعلت حجته، وارتفع إبراهيم على
قومه عقيدة وحجة ومنزلة^(١)، كان أسلوبه
قويًا واضحًا استطاع من خلاله أن يوقعهم
في معرفة بطلان دعوتهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ
مِّن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾
قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ
كُنْتُمْ أَشْذَىٰ وَآسَفًا وَأَنتُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا
أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ زَكَّيْتُ
رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ
ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ
أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ جُذُوعًا
لَّا كَبِيرًا لَّمَّا لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢/ ١١٤٢.

والأرض، المدبر لهن، بجميع أنواع التدبير، فيكون كل مخلوق مفطوراً مدبراً متصرفاً فيه، ودخل في ذلك، جميع ما عبد من دون الله، أفيلق عند من له أدنى مسكة من عقل وتميز، أن يعبد مخلوقاً متصرفاً فيه، لا يملك نفعاً، ولا ضرراً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، ويدع عبادة الخالق الرازق المدبر؟ وأما الدليل السمعي فهو المنقول عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن ما جاءوا به معصوم لا يغلط ولا يخبر بغير الحق، ومن أنواع هذا القسم: شهادة أحد من الرسل على ذلك، فلهذا قال إبراهيم: ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ﴾ أي: أن الله وحده المعبود وأن عبادة ما سواه باطل ﴿وَمِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، وأي شهادة بعد شهادة الله أعلى من شهادة الرسل؟ خصوصاً أولي العزم منهم خصوصاً خليل الرحمن^(١).

وحقاً لقد كانت الأولى رجعة إلى النفوس، وكانت الثانية نكسة على الرؤوس كما يقول التعبير القرآني المصور العجيب، كانت الأولى حركة في النفس للنظر والتدبر، أما الثانية فكانت انقلاباً على الرأس فلا عقل ولا تفكير، وإلا فإن قولهم هذا الأخير هو الحجة عليهم. وأية حجة لإبراهيم أقوى من أن هؤلاء لا ينطقون؟! ومن ثم يجبهم بعنف وضيق على غير عادته وهو الصبور الحليم؛

لأن السخف هنا يجاوز صبر الحليم^(٢)، فهي هو خليل الرحمن برشده وحسن دعوته يستخدم أسلوباً عملياً مؤيداً بالعقل والسمع في بيان سلامة دعوته، وإبطال دعوة قومه.

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٥٢ يَتَابَتَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٥٣ يَتَابَتَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٥٤ يَتَابَتَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٥٥ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَابَرِهِي لَيْنُ لَمْ تَنْتَوِ لَأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ٥٦ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَفِيًّا إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ٥٧ وَأَعْتَرِلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ٥٨ أَعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ٥٩ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ٦٠

[مريم: ٤١-٥٠].

فقال لأبيه متلفظاً في دعوته إلى التوحيد ونهيه عن عبادة الأصنام: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً؟^(٣). بهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٣٨٧.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٧/ ٩٩.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٢٥.

نبينا الصلاة والسلام، ويتلو على الناس في القرآن نبأه مع قومه، ودعوته لهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، وكرر هذا المعنى المذكور في هذه الآيات في آيات آخر من كتابه جل وعلا^(٣)، فاستخدم عليه السلام الأسلوب العاطفي الرائع الذي يدل على عظيم حلم وكثير كرم، لكن أباه الكافر رفض دعوته.

❁ دعوة موسى عليه الصلاة والسلام.

وأهم الآيات التي تتحدث عن دعوته عليه الصلاة والسلام ما يأتي:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

أي: أمرناه قائلين له أخرج قومك من الظلمات إلى النور، أي: ادعهم إلى الخير؛ ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتَكِ حَدِيثُ مُوسَى ① إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ② فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ③ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ④﴾

إلى أبيه، يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله إليه، وعلمه إياه وهو يتحجب إليه فيخاطبه: ﴿يَتَابَت﴾ هذه هي اللمسة الأولى التي يبدأ بها إبراهيم دعوته لأبيه، ثم يتبعها بأنه لا يقول هذا من نفسه، إنما هو العلم الذي جاءه من الله فهداه، ولو أنه أصغر من أبيه سنًا وأقل تجربة، ولكن المدد العلوي جعله يفقه ويعرف الحق فهو ينصح أباه الذي لم يتلق هذا العلم، ليتبعه في الطريق الذي هدي إليه^(١).

ولهذا كثيرًا ما يبدئ ويعيد في قصص الأنبياء، الذين فضلهم على غيرهم، ورفع قدرهم، وأعلى أمرهم، بسبب ما قاموا به، من عبادة الله ومحبة، والإنابة إليه، والقيام بحقوقه، وحقوق العباد، ودعوة الخلق إلى الله، والصبر على ذلك، والمقامات الفاخرة، والمنازل العالية، فذكر الله في هذه السورة جملةً من الأنبياء، يأمر الله رسوله أن يذكرهم، لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم، وبيان فضله وإحسانه إليهم، وفيه الحث على الإيمان بهم ومحبتهم، والافتداء بهم^(٢).

لذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكر في الكتاب الذي هو القرآن العظيم المنزل إليه من الله (إبراهيم) عليه وعلى

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي ٤٢٣/٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤١٠/٤.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/٣٢١١.

(٢) تفسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٩٤.

فَاَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
وَأَنَا أَخَفَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾
إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ
بِمَا نَسَعَتْ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ
يَمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا
وَأَهْشَىٰ بِهَا عَلَىٰ غَضَبِي وَلِي فِيهَا مَنَازِبٌ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾
قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَالْقَنَاقِدُ خِدَاةً عَلَىٰ حَيَّةٍ
سَعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهُمَا
سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ
تَخْرُجَ بَيْضَةً مِّنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِّتُؤَيِّدَ
مِنْ بَيْنِنَا الْكَبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾

[طه: ٩-٢٤].

يقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي^(١).

ولما أوحى الله إلى موسى، ونبأه، وأراه الآيات الباهرات، أرسله إلى فرعون، ملك مصر، فقال: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ أي: تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية -قبحه الله- أي: وطغيانه سبب لهلاكه، ولكن من رحمة الله وحكمته وعدله، أنه لا يعذب

(١) جامع البيان، الطبري ١٨/٢٨٣.

أحدًا، إلا بعد قيام الحجة بالرسول، فحيث علم موسى عليه السلام أنه تحمل حملًا عظيمًا، حيث أرسل إلى هذا الجبار العنيد، الذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى عليه السلام وحده، وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامثل أمر ربه، وتلقاه بالانسراح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب، التي هي من تمام الدعوة، فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ أي: وسّعه وأفسحه؛ لا تحمل الأذى القولي والفعل، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم^(٢).

والذهاب المأمور به ذهاب خاص، قد فهمه موسى من مقدمات الإخبار باختياره، وإظهار المعجزات له، أو صرح له به وطوي ذكره هنا على طريقة الإيجاز، على أن التعليل الواقع بعده ينبيء به^(٣)؛ ولما آنسه بالعصا واليد، وأراه ما يدل على أنه رسول، أمره بالذهاب إلى فرعون، وأن يدعوه^(٤). ويؤخذ من هذه الآية الكريمة: أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالترفق واللين، لا بالقسوة والشدة والعنف^(٥).

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٠٤.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٦/٢١٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١/١٩٢.

(٥) أضواء البيان، الشنقيطي ٤/١٥.

يَبَيِّنُو مِن رَّبِّكُمْ ﴿١٠٩﴾ أي: بحجة قاطعة من الله، أعطانيها دليلاً على صدقي فيما جئتكم به ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أطلقهم من أسرك وقهرك، ودعهم وعبادة ربك وربهم فإنهم من سلالة نبي كريم ^(١).

وفي سورة الشعراء: جرت في دعوة موسى المجادلة والتحاور، واستخدم موسى الأدلة العقلية كأسلوب في دعوته لفرعون وقومه: فقال فرعون لقومه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

يقول: إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب على عقله، لأنه يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه، وإنما قال ذلك؛ لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا رب غيره يعبد، وأن الذي يدعوه إليه موسى باطل ليست له حقيقة، فقال موسى عند ذلك محتجاً عليهم، ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته، إذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه رباً لهم في ذلك الوقت هو فرعون فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح، إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عريش مصر، وتبين لفرعون ومن حوله من قومه أن الذي يدعوه موسى إلى عبادته، هو الملك الذي يملك الملوك، قال فرعون حينئذ استكباراً

رَسُولَ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٠﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١١١﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٢﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٦﴾ قَالُوا أَزُجِّبُهُ وَآخَاهُ وَارْسِلِ فِي الْمَدَائِنِ خَبِيرِينَ ﴿١١٧﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٨﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّكَ لَنَا لَأَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٩﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٢١﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٢﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٢٣﴾ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٢٥﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٢٦﴾ [الأعراف: ١٠٤-١٢٠].

يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون وإلجائه إياه بالحجة وإظهاره الآيات البيّنات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر، مظهرًا بأنه لا يقول على الله إلا الحق، أي: جدير بذلك وحري به، فحق عليّ أن لا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق، لما أعلم من عز جلاله وعظيم شأنه ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٤٠٨.

عن الحق، وتماذياً في الغي لموسى: ﴿لَيْنِ﴾
أَتَّخَذَتْ لَهَا غَيْرِي [الشعراء: ٢٩].

يقول: لئن أقررت بمعبود سواي
﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:
٢٩] (١).

يريد أن يتهم على مسألة الرسالة في ذاتها؛ فيبعد القلوب عن تصديقها بهذا التهكم، لا أنه يريد الإقرار بها والاعتراف بإمكانها، ويتهم موسى عليه السلام بالجنون؛ ليذهب أثر مقالته التي تطعن وضع فرعون السياسي والديني في الصميم. وترد الناس إلى الله ربهم ورب آبائهم الأولين، ولكن هذا التهكم وهذا القذف لا يفت في عضد موسى، فيمضي في طريقه يصدع بكلمة الحق التي تزلزل الطغاة والمتجبرين (٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمُوا إِنِّي ظَلَمْتُ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْنَلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

وفي قوله هاهنا: ﴿إِنِّي بَارِيكُمْ﴾ تنبيه على عظم جرمهم، أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره (٣)، فدعاهم إلى التوبة

(١) جامع البيان، الطبري ١٩/٣٤٤.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/٢٥٩٢، وذكر كلاماً مهماً عند تفسير هذه المحاوراة بين موسى وفرعون.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/١٦٤.

من ذلك.

وقال تعالى عن قصة عبادتهم للعجل:
﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيقِهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارُ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾
﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعِجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاءُ لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي شِعْطِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجْلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَلَئِنِّي أَهْلَكْتُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ فَضِلْ بَيْنَا مَنْ نَشَاءُ وَتَهْدِ مَنْ نَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف: ١٤٨-١٥٥].

أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ
الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَى
أَذْيَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ [المائدة: ٢٠-٢١].

أمرهم رسول الله موسى عليه السلام
بالدخول إليها، وبقتال أعدائهم، وبشرهم
بالنصرة، والظفر عليهم، فنكلوا وعصوا
وخالفوا أمره، فعوقبوا بالذهاب في التيه
والتماذي في سيرهم حائرين لا يدرون
كيف يتوجهون فيه إلى مقصد، مدة أربعين
سنة عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله
تعالى (٤)، فهم لما رفضوا دعوة موسى عليه
السلام وتركوا أمر ربهم عاقبهم سبحانه.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْهَبُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنَّنَحْنُ
هَٰؤُلَاءِ قَالِ اعْوِذْ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْغَٰفِلِينَ
﴿٢٦﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالِ إِنَّهُ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ
ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْثُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ
﴿٢٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ
تَشَبَهَ عَلَيْهِنَّ وَإِنَّا إِذَا سَاءَ اللَّهُ لَمُهِتَدُونَ ﴿٢٩﴾
قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا
تَسْقِي الْغَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ
جِئْتُ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ

فيخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني
إسرائيل، في عبادتهم العجل الذي اتخذه
لهم السامري من حلي القبط، الذي كانوا
استعاروه منهم، فشكل لهم منه عجلاً،
جسداً لا روح فيه، وقد احتال بإدخال الريح
فيه، حتى صار يسمع له خوار -كصوت
البقر- وإنما أضاف الصوت إليه؛ لأنه كان
محلّه عند دخول الريح جوفه، وكان هذا
منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى،
وأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور،
حيث يقول إخباراً عن نفسه الكريمة ﴿فَإِنَّا
قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (١).

وذكر جل وعلا: أن موسى عليه السلام
رجع إلى قومه بعد مجيئه للميقات في حال
كونه في ذلك الرجوع غضبان أسفاً على
قومه من أجل عبادتهم العجل (٢).

ومع شدة غضبه إلا أنه دعاهم وأكد ما
دعاهم إليه من قبل فقال: ﴿فَلْيَسْمَا خَلَفْتُونِي﴾
للتذكير بالبون الشاسع بين حال الخلف
وحال المخلف عنه، وتصوير لفضاعة ما
خلفوه به، أي: بعدما سمعتم مني التحذير من
الإشراك وزجركم عن تقليد المشركين (٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
يَقَوْمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ
أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ

(١) محاسن التأويل، القاسمي ١٨٤/٥.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي ٧٩/٤.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١١٤/٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦٧/٣.

﴿٧١﴾ [البقرة: ٦٧-٧١].

أي: واذكروا ما جرى لكم مع موسى، حين قتلتم قتيلاً واذارأتم فيه، أي: تدافعتم واختلغتم في قاتله، حتى تفاقم الأمر بينكم وكاد -لولا تبين الله لكم- لحدث بينكم شر كبير، فقال لكم موسى في تبين القاتل: اذبحوا بقرة، وكان من الواجب المبادرة إلى امتثال أمره، وعدم الاعتراض عليه، ولكنهم أبوا إلا الاعتراض، فقالوا: ﴿أَتَنَظِّرُكُمْ هُزُوا﴾ فقال نبي الله: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فإن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس، وأما العاقل فيرى أن من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل استهزاءه بمن هو آدمي مثله، وإن كان قد فضل عليه، فتفضيله يقتضي منه الشكر لربه، والرحمة لعباد الله، فلما قال لهم موسى ذلك؛ علموا أن ذلك صدق فقالوا: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِّينْ لَنَا مَا هِيَ﴾^(١)، وهذا نوع من أنواع تعنتهم المألوفة، فقد كانوا يسلكون هذه المسالك في غالب ما أمرهم الله به ولو تركوا التعنت والأسئلة المتكلفة لأجزأهم ذبح بقرة من عرض البقر، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم^(٢)، فكانت هذه دعوة منه عليه السلام لنتهي قصة القتل، فلم يستجيبوا لهذه

الدعوة، واتخذوا مسلك العناد والتعنت فكانت النتيجة أن شدد عليهم في شأن هذه البقرة، لما لم يستجيبوا الدعوة نبههم من أول مرة.

﴿٧٢﴾ دعوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وتعتبر دعوته صلى الله عليه وسلم خاتمة الدعوات وأفضلها وأكملها وأشرفها، فكان شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ولقد حظيت دعوته بأنواع الأذى ولاقت صنوف العذاب، حتى مكّن الله تعالى لها في الأرض، ويعتبر النظر في القرآن الكريم كله نظرًا إلى الدعوة التي جاء بها، وسار عليها، وجاهد من أجلها، والنظر في سنته يبين مجمل دعوته، ويخصص عامتها، ويحدد مطلقها، ويوضحها غاية الوضوح.

وكذلك النظر في سيرته التي توضح المنهج الدعوي الذي سار عليه ويجب على الأمة أن تمضي عليه^(٣).

فظهر من دعوة هؤلاء الأنبياء أنهم دعوا أقوامهم إلى التوحيد، وبذلوا كل ما يستطيعون في سبيل هذه الدعوة، فكانت طريقاً ناه من أجله نوح، وألقي في النار إبراهيم، وعالج موسى بني إسرائيل أشد المعالجة، وعالج أنواع الأذى محمد، ولقد

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٤.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ١/ ١١٤.

(٣) انظر: منهج النبي في الدعوة، محمد أمحزون ص ٣٥٦.

عليه، ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: يجعل التراب نباتاً، ثم جعله غذاءً يتولد منه النطفة، ﴿ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ أي: عدلك وكمملك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال؟^(١)

فذكره صاحبه المؤمن حاله الأولى التي أوجده الله فيها في الدنيا ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك من طور إلى طور، حتى سواك رجلاً كامل الأعضاء والجوارح المحسوسة، والمعقولة، وبذلك يسر لك الأسباب، وهياً لك ما هياً من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك.

فكيف يليق بك أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، وتجحد نعمته، وتزعم أنه لا يبعثك؟ ثم أخبره أن نعمة الله عليه بالإيمان والإسلام، ولو مع قلة ماله وولده، هي النعمة الحقيقية، وأن ما عداها معرض للزوال والعقوبة عليه والنكال، فقال: أنت -وإن فخرت علي بكثرة مالك وولدك، ورأيتني أقل منك مالاً وولداً- فإن ما عند الله خير وأبقى، وما يرجي من خيره وإحسانه، أفضل من جميع الدنيا، التي

كانوا صابرين في سبيل دعوة ربهم، مضحين بكل شيء من أجلها، سالكين كل سبيل ينقذ قومهم من عذاب الله تعالى.

ثانياً: المصلحون واتباع الرسل:

لما دعا الأنبياء إلى الله تعالى آمن بهم بعض الناس، ومن هؤلاء المؤمنين من سار على درب رسله، وعلم أنه لا بد أن يدعو إلى المنهج الذي جاءت به الرسل.

ومن تلك النماذج:

ما ذكره الله عز وجل من قصة صاحب الجنتين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۖ لَنُكَفَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۚ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ كَرِهُنَا أَقَلُّ مِنكَ مَالًا وَلَوْلَا ۚ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۚ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غَورًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۚ وَلَحِيطَ بِشْرِهِ فَاصْبِرْ يَقُلْ كَفَيْتُهُ عَلَىٰ مَا أَتَقَىٰ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا بَنِيَّ لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۚ﴾ [الكهف: ٣٧-٤٢].

فقال له صاحبه أي: الذي عيره بالفقر، تعبيراً له على كفره، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي: يراجعه كلام التعبير على الكفر، محاورته كلام التعبير على الفقر، في ضمن النكير

(١) محاسن التأويل، القاسمي ٣٤/٧.

يتنافس فيها المتنافسون^(١).

عَفَرَلِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ [يس:]

٢٠-٢٧.

جاء من أقصى مدينة القوم الذين أرسلت إليهم الرسل رجل يسعى إليهم؛ وذلك أن أهل المدينة عزموا، واجتمعت آراؤهم على قتل الرسل الثلاثة فيما ذكر، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منزله أقصى المدينة، وكان مؤمناً، فكان هذا حرصاً على نصحه قومه حين سمع ما دعت إليه الرسل وآمن به، وعلم ما ردّ به قومه عليهم فقال لهم: ﴿يَنْقُورُ أَتَبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ فأمرهم باتباعهم ونصحهم على ذلك، وشهد لهم بالرسالة، ثم ذكر تأييداً لما شهد به ودعا إليه^(٣).

فجاء من أقصى المدينة يسعى؛ ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، وفي كفهم عن البغي، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين، وإن الذي يدعو مثل هذه الدعوة وهو لا يطلب أجراً ولا يتغني مغنماً؛ إنه لصادق، وإلا فما الذي يحمله على هذا العناء إن لم يكن يلبي تكليفاً من الله؟ ما الذي يدفعه إلى حمل هم الدعوة؟ ومجابهة الناس بغير ما ألفوا من العقيدة؟ والتعرض لأذاهم وشرهم واستهزائهم وتنكيلهم، وهو لا يجني من ذلك كسباً، ولا يطلب منهم أجراً؟

وهذا هم واضح في طبيعة دعوتهم، فهم

وهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة، فلا تبالي المال والنفر، ولا تداري الغنى والبطر، ولا تتلثم في الحق، ولا تجامل فيه الأصحاب، هكذا يستشعر الداعية المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم وهو يطمع في فضل الله، وأن نعمة الله جبارة، وأنها وشيكة أن تصيب الغافلين المتبطين^(٢).

فدعاه إلى الله والاعتراف بنعمته عليه؛ ولم يمنعه فقره ولا قلته عن دعوة متكبر على عباد الله أن يرجع إلى الله ويستسلم لأمره، ويعرف حقه في ما أكرمه به.

ومن نماذج الدعاة الناصحين الذين ذكرهم القرآن: صاحب ياسين.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُورُ أَتَبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنَِّّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ تَأْمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٧٦.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤ / ٢٢٧١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٩٣.

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٦﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزِنُ إِلَّا نَفْسَهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَا لِيَ أَدْعَوْكُم إِلَىٰ النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُم إِلَىٰ الْعَزِيزِ الْفَقِيرِ ﴿٣٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٣٩﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٠﴾ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِقَالٍ فِرْعَوْنُ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٤١﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٢﴾ [غافر: ٣٨-٤٦].

فإنه كان مؤمناً كما وصفه الله، ولا يشك المؤمن وذكرهم ما هم فيه من الملك؛ ليشكروا الله ولا يتمادوا في كفرهم، ثم كرر ذلك الرجل المؤمن تذكيرهم، وحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم، وكرر ذلك الرجل المؤمن دعاءهم إلى الله وصرح بإيمانه، ولم يسلك المسالك المتقدمة من إيهامه لهم أنه منهم، وأنه إنما تصدى للتذكير كراهة أن يصيبهم بعض ما توعدهم به موسى، كما يقوله الرجل المحب لقومه

يدعون إلى إله واحد، ويدعون إلى نهج واضح، ويدعون إلى عقيدة لا خرافة فيها ولا غموض، فهم مهتدون إلى نهج سليم، وإلى طريق مستقيم، وهكذا ألقى بكلمة الإيمان الواثقة المطمئنة، وأشهدهم عليها، وهو يوحى إليهم أن يقولوها كما قالها، أو أنه لا يبالي بهم ماذا يقولون.

ويوحى سياق القصة بعد ذلك أنهم لم يمهله أن قتلوه، وإن كان لا يذكر شيئاً من هذا صراحة، إنما يسدل الستار على الدنيا وما فيها، وعلى القوم وما هم فيه ويرفعه لنرى هذا الشهيد الذي جهر بكلمة الحق، متبعاً صوت الفطرة، وقذف بها في وجوه من يملكون التهديد والتنكيل، نراه في العالم الآخر، ونطلع على ما ادخر الله له من كرامة تليق بمقام المؤمن الشجاع المخلص الشهيد^(١).

فهذا مؤمن واحد آمن وصدق برسالة رسله، ثم دعا إلى اتباعهم وتحمل البلاء في ذلك، ومات من أجل دعوته الصحيحة التي ترشد إلى عبودية الله تعالى وحده دون سواه.

ومن النماذج القرآنية للدعاة المصلحين: مؤمن آل فرعون.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُورِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ﴿٣٨﴾ يَنْقُورِ

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/ ٢٩٦٤.

من التحذير عن الوقوع فيما يخاف عليهم الوقوع فيه.

ثم فسر الدعوتين فقال: ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ وليس له دعوة توجب له الألوهية في الدنيا ولا في الآخرة، ومرجعنا ومصيرنا إلى الله بالموت أولاً، وبالبعث آخرًا، فيجازي كل أحد بما يستحقه من خير وشر، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، أي: المستكثرين من معاصي الله، ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾ إذا نزل بكم العذاب وتعلمون أنني قد بلغت في نصحكم وتذكيركم (١).

وستان بين دعوة ودعوة، إن دعوته لهم واضحة مستقيمة، إنه يدعوهم إلى العزيز الغفار، يدعوهم إلى إله واحد تشهد آثاره في الوجود بوحدانيته، وتنطق بدائع صنعته بقدرته وتقديره، يدعوهم إليه؛ ليغفر لهم وهو القادر على أن يغفر، الذي تفضل بالغفران: ﴿الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾، فإلى أي شيء يدعوهم؟

يدعونه للكفر بالله، عن طريق إشراك ما لا علم له به من مدعيات وأوهام وألغاز. ويقرر من غير شك ولا ريبه أن هؤلاء الشركاء ليس لهم من الأمر شيء، وليس لهم شأن لا في دنيا ولا في آخرة، وأن المرد

لله وحده، وأن المسرفين المتجاوزين للحد في الادعاء سيكونون أهل النار (٢).

فهذا الرجل من قوم فرعون آمن بموسى عليه السلام، ولما علم أن الخير في دعوة موسى دلّ قومه عليها، وحذرهم من مخالفتها، وبين لهم بطلان دعوتهم أمام دعوة الله فكان من أفضل الداعين. ومن النماذج أيضًا: دعاة الجن.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ (٣٦) قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنَّا بَعْدَ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَّا طَرِفُوا مُّسْتَقِيمٌ (٣٧) يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٣٨) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٩) [الأحقاف: ٢٩-٣٢].

كان الله تعالى قد أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق إنسهم وجنهم، وكان لا بد من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة والرسالة، فالإنس يمكنه عليه الصلاة والسلام دعوتهم وإنذارهم، وأما الجن فصرّفهم الله إليه بقدرته، وأرسل إليه ﴿نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ (٣٦) أي: وصى بعضهم بعضًا بذلك،

(١) فتح القدير، الشوكاني ٥٦٥/٤.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣٠٨٣/٥.

[الجن: ١-٣].

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥
وَالَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۝١٦
لَتَقِينَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا
صَعْدًا ۝١٧﴾ [الجن: ١٥-١٧].

وهذه السورة سميت بهذا الاسم لاشتغالها على تفاصيل أقوالهم في تحسين الإيمان، وتقييح الكفر، وكانت أقوالهم أشد تأثيراً في قلوب العامة، لتعظيمهم إياهم^(٣). فعلموا الصواب وتنبهوا لجميع أخطائهم خاصة أنهم تبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفر الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذ صاحبة ولداً، فاستعظموه ونزهوه عنه^(٤). والاتجاه بالخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثير العطف على شخص الرسول في قلب المستمع لهذه السورة، عطفاً مصحوباً بالحب، وهو يؤمر أن يعلن تجرده من كل شيء في أمر هذه الدعوة إلا البلاغ، والرقابة الإلهية المضروبة حوله وهو يقوم بهذا البلاغ^(٥).

وجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوى المتضمنة لترك الشر، وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه ما علموه من إرشادات القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح

﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ وقد وعوه وأثر ذلك فيهم ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ نصحاء منهم لهم، وإقامة لحجة الله عليهم، وقيضهم الله معونة لرسوله صلى الله عليه وسلم في نشر دعوته في الجن^(١).

فيقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء النفر من الجن قالوا لقومهم: أجيئوا رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى ما يدعوكم إليه من طاعة الله، وصدقوه فيما جاءكم به وقومه من أمر الله ونهيه، وغير ذلك مما دعاكم إلى التصديق به؛ يغفر لكم ذنوبكم فيسترها لكم، ولا يفضحكم بها في الآخرة بعقوبته إياكم عليها، وينقذكم من عذاب موجه إذا أنتم تبتن من ذنوبكم، وأنبتن من كفركم إلى الإيمان بالله وبداعيه، ومن لا يجب أيها القوم رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فليس بمعجز ربه بهربه، إذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه، وليس لمن لم يجب داعي الله من دون ربه نصراء ينصرونه من الله إذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيه^(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الْآرْشِدِ فَأَمَّا بَيْنَهُ وَلَنُشْرِكَ رَبَّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ قَتَلْنَا جَدَّ رَبَّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٣٢٨/٩.

(٤) الكشف، الزمخشري ٦٢٣/٤.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣٧٢٠/٦.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٧٣.

(٢) جامع البيان، الطبري ١٤١/٢٢.

الغيب الذي اختص به الله سبحانه (٣). فكان الغرض من هذا هو بيان الأمر الذي جعل الجنّ يقبلون الدعوة ويعلمون صدقها، وبطلان ما كانوا عليه؛ وأن يكونوا نصيحة لأقوامهم، داعين لهم إلى صراط الله المستقيم.

والفوائد واجتناب المضار، فإن ذلك آية عظيمة، وحجة قاطعة، لمن استنار به، واهتدى بهديه، وهذا الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد، والمربى والإلف ونحو ذلك، فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة (١).

وتهدف السورة إلى إثبات كرامة النبي صلى الله عليه وسلم بأن دعوته بلغت إلى جنس الجن، وإفهامهم فهم معان من القرآن الذي استمعوه، وفهم ما يدعو إليه من التوحيد والهدى، وعلمهم بعظمة الله وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد (٢).

وفي هذه السورة إظهار لحقيقة الدعوة، فقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم بأنه إنما يدعو إلى ربه ويقوم بما يجب له عليه، وهو لا يملك شيئاً من كفرهم أو إيمانهم وبأنه لن يجيره منهم أحد، إلا أن يبلغهم ما أرسله به إليهم، ثم ذكر أن من يعصيه الله سبحانه ويعصي رسوله صلى الله عليه وسلم، يخلّده في نار جهنم، فإذا رأوا ما يوعدون منها، يعلمون أنهم أضعف ناصراً، وأقل عدداً.

ثم أمره أن يخبرهم، بأنه لا يدري متى يكون ما يوعدون به من ذلك، لأنه من علم

(٣) الموسوعة القرآنية، جعفر شرف الدين ١٦٩/١٠.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٩٠.
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩/٢١٧.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

٣. حصول الخيرية للأمة ونجاتها من الهلاك.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٤. التمييز بين الحق والباطل.

وذلك كما قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا

ثمرات الدعوة

تعتبر الدعوة عملاً مهماً من الأعمال التي أكدت عليها الشريعة، ولا بد لكل عمل من جهد يبذل فيه، ولكل جهد ثمرات، وللدعوة ثمرات يانعة، تظهر معنا من خلال الآيات ومن أهمها ما يأتي:

١. الإيمان بالله تعالى والوصول إلى مرضاته وعفوه ومغفرته.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَسُولُكُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُقَفِّرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْتَغِي لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٨-٩].

٢. استجابة الله تعالى للمخلصين في دعوته ومحبه لهم.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

كَبَسِطَ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ [الرعد: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

٥. علو مكانة الدعوة وبيان عظيم فضلهم وسلامة دعوتهم.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣١﴾﴾ قَالُوا يَنْفَرْنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٢﴾ يَنْفَرْنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا

بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْرَمُ مِّنْ عَذَابِ الْبَرِّ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٩-٣٢].

٦. القيام بالدعوة إلى الله من أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَهِوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَجْبَأْنَاهُمْ وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَانُوا بِجُرْمِهِمْ﴾ [هود: ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

وللدعوة ثمار كثيرة، تناولها العلماء في كتبهم، وذكروها في توجيهاتهم، وأرشدوا إليها في محاضراتهم وخطبهم، يمكن لمن أَرَادَهَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا فِي مِظَانِهَا.

موضوعات ذات صلة:

التوحيد، الجدل، الحكمة، الحوار، النصيحة